سيمفونية الخريف

ذكريات وملامح
من بلاد المسيرية ومنطقة المجلد

بقلم

د. صلاح عبدالملك دعاك

مكتبة جزيرة الورد

بطاقة فهرسة

حقوق الطبع محفوظة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : **سيمفونية الخريف**

المؤلف : د. صلاح عبد الملك دعاك

رقم الإيداع السودان : ٢٠١٨/٣١٨م

رقم الإيداع مصر: ٢٠١٨/١٠٥٠٦

ترقيم دولي: ٩٧٨-٩٧٧-٨٣٤-٠٤٨-٨

الطبعة الأولى ٢٠١٨

مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ - ٢٧٨٢٧٥٧٤

Tokoboko_5@yahoo.com

إهداء

إلى روح الوالد الأستاذ الشيخ

عبدالملك أحمد دعاك

وإلى الوالدة الغالية...

والى كل أهلنا في منطقة المسيرية من قضى ومن ينتظر ، والى كل من ساهم في إخراج هذا الكتاب بالفكرة والتشجيع والدفع المعنوي .

شكُر وعرفان

الشكر أولا لله أن هيأ لي الرغبة والوقت لأكتب عن هذه المنطقة التي لم يكتب عنها الكثير ولم تجد حظاً في الإعلام والرواية وأشكر الله أن أسعفني بالذاكرة لأذكر عدّد ممن ساهموا في النشاط السياسي والاجتماعي والرياضي والفكري في تلك الفترة والشكر والتقدير لكل من ساهم في إخراج هذا السفر (سيمفونية الخريف) ذكريات من منطقة المسيرية المجلد شكراً لكل من ساهم بالفكرة والدعم المعنوي لمواصلة هذه المسيرة ، وشكر خاص لكل من قرأ مسودة الكتاب في مراحلها الأولى وأدلى بإفادات ساعدت في تجويد المعلومات وتذكر الأحداث والشخوص ، وعلى رأسهم سعادة الفريق أول ركن مهدى بابو نمر، الذي كتب توطئة لهذا الكتاب وكانت دعماً وحافزاً ليرى النور ورأيه كان مهماً لاسيما وهو من الأسر الحاكمة في منطقة المسيرية ويحمل إرث والده الناظر بابو هو من الزعامة المعروفة بالمنطقة .والشكر لسعادة وزير الثقافة بولاية الخرطوم الأستاذ/ محمد يوسف الدقير الذي كان رأيه سديداً وإضافة لمحتوى الكتاب،والشكر أيضاً للأستاذ عبدالرسول النور ابن المنطقة والسياسي المعروف بإسهاماته وكتاباته عن المنطقة وتراثها والشكر للأستاذ الصالح صلوحة وهو من قيادات المنطقة الذي قرأ المسودة الأولى وأعطى رأيه وشكرا للبروفسير عمر قدور الذي عمل على المراجعة اللغوية وكانت له إفادات ساعدت في تجويد محتوى الكتاب ،والشكر أيضاً للدكتور جعفر العبيد أستاذ اللغة العربية بالجامعات العربية على مراجعته اللغوية بصورة تفصيلية والشكر للأستاذ محمد قور حامد محمد الصحفي المعروف وهو من أبناء المنطقة المهتمين بالتراث

ودراسة المجتمعات لقراءته المسودة وإفادته البناءة وكل التقدير لسعادة السفير أحمد التجاني الأمين الدسوقي لما قدمه من رأي وشكراً للأستاذة رقية الأمين الدسوقي لرأيها وملاحظاتها وتقديراً خاصاً للأخ الأستاذ محمد حيدر من أبناء السودان بالمملكة الأردنية الهاشمية الذي عمل على تصميم هذا الكتاب وإخراجه بهذه الصورة الرائعة ولابد أن أشكر زوجتي المهندسة إسراء إبراهيم التجاني التي عكفت على مراجعة الكتاب وتصحيح الكتابة وإعطاء رأيها عن التعبير . والشكر للأخ الخواض عبدالجليل الذي عمل على طباعة المسودة الأولى على الآلة الكاتبة وكان أمراً مرهقاً لرداءة الخط لاسيما إذا كان من طبيب لم يحسن الخط والشكر للأخ مجدي عبدالله بالسعودية وهو من أبناء المجلد على إسهاماته وأفكاره ، والشكر لكل من ساهم ولم يذكر اسمه ومن قرأ وساهم في نشره .

الشكر لكم جميعاً على الاهتمام وما قدتموه من دعم

د. صلاح دهاك

مقدمة

هذا الكتاب أضعه بين أيديكم وهو محاولة لاجترار الأحداث والتوثيق لمنطقة أحببناها وقضينا فيها مرحلة طفولتنا وأنا أعتبر أن الطفولة هي المفتاح الحقيقي للمعرفة الممزوجة بالعاطفة والبوابة التي يدخل منها الإنسان إلى الحياة العريضة متسلحا بالانتماء العقائدي والفكري فإن كانت ثرةً مليئة بالأحداث ووجدت التوجيه المناسب خرج الإنسان بذخيرة معرفية تراكمية تعينه في مقبل أيامه، سألني أحد الأخوة في بلاد الغربة، بعد حديث طويل عن الأوطان وأنا في أوروبا في بلاد تموت من البرد حيتانها كما قال، الطيب صالح سألني قائلاً ماذا تفقد في هذه البلاد الجميلة التي توافر فيها كل شيء ولماذا لم أقدم للجواز والإقامة في تلك الدول ...فقلت له إني أفتقد طفولتي !! أنا كنت في بلاد الغربة لا أشعر أني أنسجم مع البيئة والمجتمع بالصورة التي تتيح لي الاستمتاع بكل شيء فيها...كنت أشعر أني غريب.

فالكتاب اعتمد على الذاكرة والحديث مع الأهل والزملاء ولم يتخذ منهجاً أكاديمياً مملاً ليجمع كل الأحداث بصورة تراتبيةَ رتيبة فهو ليس تاريخاً يؤرخ بصورة حرفيةَ بل ذكر نماذج لأحداث وشخصيات بقدر ما أسعفتني الذاكرة فهناك أماكن كثيرة وأحداث وشخصيات لم تذكر فلهم العتبى كتب هذا الكتاب في فترة ثلاث سنوات متقطعة كتبتَ خلال أسفاري بين الدول حيث كنت مديراً إقليميا لمؤسسة الإغاثة مسؤولاً عن منطقة الشرق الأوسط وشرق آسيا ، فخلال السفر بين دول الإقليم المختلفة والسفريات التي تمتد أحياناً إلى اثنتي عشر ساعة والانتظار في المطارات كنت أملأ هذا الوقت بالقراءة وكتابة مقالاتي وكتبي .

هذه هي الطبعة الأولى ومع الزمن سنحاول أن نوسع الفكرة بالجلوس مع أهل المنطقة إن شاء الله لإضافة مزيد من الأحداث والشخصيات لنصل لصورة متكاملة للفترة التي تتجاوز الفترة الزمنية التي ركز عليها الكتاب الآن . هناك معالم كثيرة تغيرت وكذلك شخوص منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر. ما دفعني للكتابة هو حبي لتلك الفترة وهي محاولة لتوثيق الحركة الاجتماعية لتلك المنطقة لتكون هادياً للأجيال الحالية والقادمة عن الأحداث العظيمة والرجال العظماء الذين أرسوا قواعد للعلاقات الاجتماعية لتكون ذات خصوصية وكذلك جامعة لكل الناس في صورة من التعايش السلمي والتنوع العرقي والثقافي والفكري . ومعروف أن التوثيق إما يدور حول حدث يدور حوله أشخاص أو شخص تدور حوله أحداث لكن في هذا السرد نلاحظ المزج بين الحالتين حيث الحديث عن منطقة المجلد ومن خلالها برز دور بعض الشخصيات التي كان لها دور في سير الأحداث في ذلك الوقت.

نموذج المجلد رغم خصوصية المنطقة والأحداث لكنه يمثل ما يدور في كثير من مدن السودان، فالكتاب رغم خصوصيته أيضاً يعطي فكرة عن الحركة الاجتماعية والثقافية والفكرية لمدن كثيرة مشابهة في ذلك الوقت خاصة في كردفان. فلندلف إلى تفاصيل هذا الكتاب لنقرأ عن المنطقة التي أحببناها وعشنا فيها طفولتنا، أرجو أن يجد القارئ فيه ما يفيد وأن يكون ملهماً لأناس آخرين ليكتبوا بصورة أشمل عن المنطقة وأهلها وعاداتها وتقاليدها، إذا أصبنا فلنا أجران وإن لم نصب فلنا أجر ، والله المستعان .

والسلام عليكم،،،

المؤلف

تمهيد

قالوا عن المجلد

الكلمة الأولى

الابن الدكتور / صلاح دعاك ..

اطلعتُ على هذا السفر الماتع ... تجولت بين أسطره التي حوت وصفاً للأمكنة ، وتراجم لبعض ساكنيها ، هي ذكريات في أكناف ذكرى ، أهاجت الحنين الهامس الهدار... الإنسان تشده أرض المهد ، حيث شهيق الهواءِ الأول وزفيره .. المجلد هي موطن سؤدد تليد ومعتق ..جذوره ضاربة في تربة غرسها طيب ، أينعت ثماره علاقات إنسانية تمثلت في تآلفٍ وتكاتفٍ ، وفي إخاءٍ توثقت وشائجه وتوطدت أواصره ... فلا تكاد في تلك الأيام النضرات تلحظ انتماءات لقبيلة أو عشيرة سوى المجلد ....و قد صدق من سماها (دينقا أم الديار) ،، فهي أمٌ للديار وأمٌ للجميع .. وفد إليها القادمون من كل صقعٍ وربعٍ من أنحاء السودان الفسيح ، انصهروا وتصاهروا ،، تمازجوا وتساكنوا ، تماهت أمزجتهم فكان مجتمعها نسيجاً متفرداً ...

كان لكل قبيلة في البادية (ممثل مُقيم) من التجار في المدينة ، ينزلون عنده ، ويقضون حوائجهم ، وهو عنوان بريدهم لمراسلات وتحويلات أبنائهم العاملين في (دار صباح) .. وحتى عندما تتحرك الظعائن إلى مصايفها في بحر العرب وغيره، يتحرك معهم بعض أولئك التجار ....

المجلد (غريقة) كانت بوتقة انصهر فيها (المسيري) مع (الجلابي) مع

(الفلاتي) مع (الدينكاوي) ، بل مع (القبطي) ، وكل الأعراق والأجناس .. فأصبح الانتماء لبقعة تُسمى المجلد ، الابن صلاح .. هو امتداد لأسرتنا التي يعود ارتباطها بتلك المنطقة إلى مائة عامٍ تقريباً يوم قدم إليها جدنا الشيخ التيجاني حسب الله من النهود ليفتح أول مدرسة في تلك الديار ، في حوالي العام ١٩١٨م وقد كان من أوائل تلاميذه العم والخال الناظر بابو نمر ، وإخوانه علي والدرديري والعم الناظر مكي علي الجلة ، والأستاذ التيجاني محمد زين ، ولفيفٌ من إخوانه، ونفرٌ كريم شغلوا فيما بعد مواقع قيادية في المنطقة وفي السودان ، وكانت مدرسة المجلد الغربية هي نتاج تلك اللبنة الأولى ، وقد تلقينا فيها التعليم في تلك المرحلة الأولية .. المجلد كما أسلفت كانت مجتمعا نسيج وحده ... كنا صغاراً زُغب الحواصل نتجول في أرجائها ، وننام في أي بيتٍ حيثما أدركك مغيب الشمس ، ويصل (المرسال) إلى أهلك بأن ابنكم معنا ،، فتنام ملء جفونك حتى الصباح ،، تأكل الوجبة حين يأتي موعدها في أول بيتٍ يقابلك .. لم تكن هناك فوارق ولا طبقات ،، طعام الناس متشابه في أصنافه وحلو في مذاقه ،،، لباس الناس يشبه بعضه بعضاً ،، وفي الأعياد ترى الأطفال في جلابيب كألوان الحديقة كما قال الشاعر محمد المهدي المجذوب هي من قماش (البوبلين) بألوانٍ بيض وحمر وخضر وزرق مختلف الوأنها ، لا نفرق ولا نميز بين ابن المقتدر والمُعدم .

أما الخريف فكان لوحةٌ بديعة رسمتها يد الخالق البديع ،، تتلاصف البروق ، وتقصف الرعود ، ويكتنز السحاب فتنفتحُ أبواب السماء كأفواه القربِ بماء منهمر ،، تكتسي الأرض حلة خضراء زاهية فوقها خيراتٌ يانعة الثمار ، ويبدأ موسم الرحلات والترفيه ... المجلد حديث ذكريات جميلة وحالمة لا تنقضي حلاوته ، ولعل في الكتاب المزيد من هذا السرد الشائق ، في هذه البيئة المفعمة بالوداد والمحنة والإلفة ، وفد إلى المجلد في ستينيات القرن الماضي الأستاذ/ عبدالملك دعاك ، شابٌ غض الإهاب ، حديث التخرج من جامعة أم درمان

الإسلامية ، ليعمل معلماً في معهد المجلد العلمي ، كان يرتدي (بنطلوناً) أسود وقميصاً (أزرق سماوياً)..سرعان ما خلع الزي الإفرنجي ،و ارتدى من يومها الزي القومي (العمة والجلابية) .

كان مسرعاً في مشيته ، قوياً في صوته ، بسيطاً في اختلاطه بعامة الناس ، متواضعاً موطأ الأكناف ، وسرعان ما اندمج في ذلك المجتمع المتكاتف ، وصار واحداً من نسيجه ، يُنهي الدرس في معهده ، ليقدم دروساً في الفقه وعلوم الحديث في المسجد العتيق ، ويؤم الجمعة فيه أحياناً ...

أصهر (أستاذ) عبدالملك - وقد لازمت صفة (الأستاذية) هذه اسمه - أصهر الى أسرتنا زوجاً لأختنا الأستاذة نادية بشير التيجاني ، التي أنجب منها البنين والبنات ، الذين أحسن تربيتهم ، واجتهد في تعليمهم ، وصاروا - بفضل الله تعالى- صالحين في مجتمعهم ، نافعين لأهلهم حفظهم الله تعالى .

هذا سفرٌ قيم حوى من المفاخر والمآثر ما يشرح النفس ويعود بها إلى زمان مفرحٍ ومكان طيب .

الأستاذ /محمد يوسف الدقير

وزير الثقافة والإعلام والسياحة

ولاية الخرطوم

الكلمة الثانية

أخي الدكتور صلاح دعاك :

لعل حظي أسعفني أن أكون من المحظوظين الذين خصصتهم بثقتك ، واضعاً بين أيديهم كتاب ذكريات وخواطر من المجلد .. سيمفونية الخريف .. قرأت الكتاب أكثر من مرة ،،، استمتعت به حقاً ، أهنئك وكم أدهشني غاية الدهشة الممزوجة بالإعجاب حدة ذاكرتكم الفتوغرافية التي اختزنت كل هذا الكم الهائل من الأسماء والشخصيات والأحداث والذكريات ، وأنت يافع في عمر الزهور ، فتمثلت لي وكأنك درويش في حضرة أهلك في تلك المنطقة ، فتشابكت في عقلك ووجدانك الذكريات والخواطر فأثمرت هذا الكتاب الرائع ويقيني أنك وفقت بدرجة ممتازة ، وأنت في بداية الطريق . ومن فرط تواضعك وسمت الكتاب بالمحاولة الأولى ، المعتمدة على الذاكرة ..«وهذا سمح » وبشرتنا بكتاب ... له قدم راسخ ، وضرس قاطع في مثل هذا الضرب من الكتابات حول مجتمع متفرد .. حظي بحبك له . نعم التوثيق إما يدور حول موضوع وحوله شخصيات كثر ، تدور حولهم أحداث .. وهنا بدأ المزج بين الحالتين ، حيث الموضوع منطقة المجلد ، والشخصية التي برز دورها جليا ومتفردا هو «أبونا » الراحل المقيم طيب الله ثراه الشيخ الفقيه عبدالملك دعاك.

لا شك عندي أن محاولتكم أرست قاعدة وطيده لوضع اللبنات الأولى لتوثيق الحركة الاجتماعية لتلك المنطقة ، ويقيني أنك من يكون له قصب السبق في هذا

المضمار وشخصكم يوثق لعلاقات اجتماعية عكست بصدق ومازالت تعكس التعايش الأخوي ، السلمى والتنوع العرفي والثقافي والفكري الذي يحدث عن رجال عظماء أرسوا هذه القيم من تلك المنطقة .

الطبيعة الخصبة في المنطقة أيام الخريف بدأت لي النوستالجيا «الحميدة إذا صح التعبير» متلألئة ، سافرة متبرجة .

أنت أخي صلاح ، مفعم حتى الثمالة بالشوق والحنين والوفاء للمنطقة وإنسانها ... كلنا في المنطقة ماضياً ... وحاضراً ومستقبلاً (صرعى) «النوستالجيا» الحميدة المبرأة من الألم والمفعمة بالأمل لمستقبل واعد ومشرق .

هذه انطباعات عاجلة ، قاصرة ،،، لكنها صادقة . أدعو لك بالصحة والعافية وطول العمر والاستمرار في الجهد المميز ولك الغد الوريف .

فريق أول ركن

مهدي بابونمر

الكلمة الثالثة

الأخ/ الدكتور/ صلاح الدين عبد الملك دعاك

سلام من الله عليك ،،،،

لقد شدني وضاعف إعجابي بهذا الكتاب «سيمفونية الخريف» المدخل الواسع العريض والاهتمام العميق، والوصف التصويري الدقيق، لواحدة من أهم المدن في السودان، وإقليم كردفان بل هي عاصمة عموم المسيرية..

قال علماء التنشئة الاجتماعية:-

إن أهم نتائج التنشئة الاجتماعية الصحيحة هي توسيع علاقات التنشئة الاجتماعية من خلال ذلك الكائن الاجتماعي وتحويله إلى كائن متعلم مهتم بثقافة مجتمعه المحلي، وذلك يسهم في ديمومة المجتمع من خلال تعاقب أجياله، ونقل التراث الثقافي وتبسيطه والحرص على غرسه من جيل إلى آخر لكي يستطيعوا فهمه واستيعابه.

فمن المؤكد أن هذا الكتاب يسهم في خلق التماسك الاجتماعي والثقافي وتهيئة وتوحيد البيئة الاجتماعية التي تعمل على توحيد وبناء المجتمع على ثقافةٍ واتجاهات فكرية مشتركة ومنسجمة ومتوافقة.. فهكذا ماكان يرمي نحوه أستاذي الجليل الدكتور صلاح الدين عبد الملك دعاك..

حقاً كان عملاً رائعاً ولعلي أكون أسعد الذين كتبوا كلمات التقديم لهذا الكتاب

الضخم والقيم الذي حشد له الدكتور كل المعلومات والذكريات الاجتماعية الجميلة.

وإنه لترتيب وتيسير إلاهي عندما اتخذت مصلحة الشئون الدينية السودانية التي تتبع لها كل المعاهد العلمية الوسطى والثانوية قرار نقل معلمنا وأستاذنا الجليل عبد الملك دعاك إلى مدينة المجلد ليعمل معلماً بمعهد المجلد ٦٦/ ٦٧ وذلك عقب الإضراب الشامل الشهير في كل أنحاء السودان سنة ١٩٦٦ للمعلمين والطلاب بالمعاهد العلمية الوسطى والثانوية بالمدارس الأكاديمية وتوحيد المناهج وذلك للمكيدة الكبرى التي أرادها المستعمر أن يفصل بين التعليم هذا أكاديمي وهذا ديني رامزا لفصل الدين عن الدولة..

عند وصول أستاذي الجليل مباشرة تمت استضافته في منزل الشيخ بشير التجاني وهو رئيس مجلس الآباء للمعهد العلمي ومقرره السيد الشيخ عبد السلام المحبوب.. والجدير بالذكر أن المعلمين والطلاب جميعاً يتم استضافتهم بمنازل التجار والزعماء وأعيان المدينة..

حضر الأستاذ عبد الملك دعاك في صباح ذلك اليوم الباكر وكان في استقباله المعلمون وطلاب المعهد العلمي بالغبطة والسرور وكان الاستقبال بحرارة حضر ذلك الفتى الممتلئ القوي بالعلم والمعرفة، ويرتدي الجلابية والعمامة، والجلابية والعمامة هما الزي الرسمي للمعلمين والطلاب وقد تم تغيير وتبديل الزي القومي إلى قميص ورداء بعد أن تم توحيد المناهج وتم توحيد الشهادتين إلى الشهادة السودانية المتعارف عليها حتى اليوم.

تخصص أستاذي الجليل المرحوم عبد الملك دعاك في تدريس مواد اللغة العربية ومواد التربية الإسلامية والفقه، وتعلمنا ونهلنا منه الكثير من علوم اللغة العربية والنحو والبلاغة وأذكر من الكتب المقررة بالمنهج قطر الندى وبل الصدى، ومن المتون متن العزية ومتن العشماوية، ومتن الأجرومية، وكنا في اشتياق دائم أن يحضر الأستاذ عبد الملك للحصة وكنا نتمنى أن تمتد الحصة لأكثر من أربعين دقيقة.. ونظراً لأن المعلمين الذين تم نقلهم إلى معهد المجلد الوسط لم يكتمل

نصابهم وخاصة معلمي اللغة الإنجليزية والرياضيات والعلوم الأخرى، فقد عمد الأستاذ المرحوم عبد الملك دعاك إلى توزيع الدفعة الأولى إلى المعاهد والمدارس الوسطى في السودان.. وخاطب مصلحة الشئون الدينية وكان على رأسها الشيخ الكاروري وبعث بنا ونحن مجموعة من الطلاب فأكملنا الدراسة في كل من أبو عشر والمسيد ووجدنا عطفاً واهتماماً خاصاً. أكملنا تعليمنا حتى السنة الرابعة وجلسنا لامتحان الشهادة السودانية الموحدة.. فكان منا الطبيب، والمعلم، والمهندس، والموظف بالخدمة المدنية فلولا لطف الله ثم نقل أستاذنا الجليل للمجلد لما كان ذلك.. وظل يتابع طلابه ويحثهم على نهل العلم لمزيد من تحصيل العلم والمعرفة وتحقيق النجاحات فله الحب والعرفان والتمجيد والمغفرة..

أستاذي المرحوم عبد الملك دعاك ظل يتابعنا حتى عند ولوجنا للعمل العام أذكر عند نجاحي ودخولي البرلمان سنة ٧٧/ ١٩٧٨ شاركني في ذلك النجاح العذب وذلك المشهد الكبير وشهدت منه ذلك الكرم البازخ وحفني بالعاطفة والشعور الدافئ وكم لاحظتها أنه سعيد جداً بدخول أحد طلابه إلى قبة البرلمان..

« وكان يردد أن أكثر السعداء بنجاح الأبناء هم الأباء والأمهات والمعلم» وتكرر ذلك المشهد السعيد لأستاذي الجليل المرحوم عبد الملك دعاك في كل نجاحاتي ووصولي للبرلمان عدة مرات ثم تكرر وتكرر وهو يزداد سروراً وسعادةً عندما تم اختياري محافظاً ومعتمداً عدة مرات وكان يداعبني في كل مرة يا ابني يا الخير ١٠٠٪.

بيت العلم والمعرفة والأدب

الشيخ التجاني حسب الله هو بيت العلم والمعرفة في مدينة المجلد عندما تم نقله إلى دار المسيرية وأسس أول مدرسة أولية بمدينة المجلد وهي مدرسة المجلد الغربية التي تم تأسيسها قبل مائة عام ١٩١٨م «قبل قرن من الزمان» وهو جد المؤلف صلاح الدين عبد الملك دعاك لوالدته نادية بشير التجاني حسب الله..

تصاهرت أسرة الشيخ التجاني حسب الله مع أسرة العارف بالله الشيخ يوسف

الدقير، وتزوج من أمنا الحاجة حرم الشيخ التجاني حسب الله، واحتشدت بهذه المصاهرة صفوة من أميز المتعلمين بالمجلد فكان د. جلال يوسف الدقير والأستاذ محمد يوسف الدقير ومعاوية يوسف الدقير وهاشم يوسف الدقير ود. معز و د. عمر وعثمان المحامي وخالد ووداد وشقيقاتها. جميعهم أكملوا تعليمهم الجامعي في جامعة الخرطوم وغيرها، وهذه الكوكبة من المعارف والعلم يشكلون إخوان المؤلف وأحفاد وأبناء بيت العلم والمعرفة هذا بالإضافة إلى الإخوان المباشرين من صلب شيخنا بشير التجاني حسب الله الإخوة محمد الفاتح بشير، وبولاد الحديد ، والشيخ صالح وأبناؤهم وشقيقاتهم الذين امتهنوا التجارة فهم صادقون مع أنفسهم، مدركون لأصالتهم منتمون لمجتمعهم..

قلت لقد كان هنالك ترتيب إلهي أن تم نقل أستاذي الجليل عبد الملك دعاك سنة ١٩٦٧ م أي بعد خمسين سنة منذ أسس الشيخ التجاني حسب الله التعليم النظامي بمدينة المجلد سنة ١٩١٨ م. فكان هذا الترتيب الإلهي بإذابة الفجوة المكانية ليتم الانصهار والمصاهرة بأحفاد المجاذيب ومنهم أستاذي الجليل عبد الملك ليتزوج من كريمة العارف بالله الشيخ بشير التجاني حسب الله إمام مسجد المجلد لسنوات، ورئيس مجلس الآباء للمعهد العلمي وخطيب مدينة المجلد والناطق الرسمي باسمها في كل مناسباتها القومية وعند الزيارات والطوافات الرسمية لكبار المسئولين بالدولة..

إن ثمرة وزبدة هذا الكتاب عند تصفحه أنه يهبك الإحساس بالوفاء والشعور بالاصالة والانتماء والانسجام الاجتماعي بهذه المنطقة.. وهذا يؤكد التنشئة السلوكية السليمة، وهي مؤشر صادق لنبذ التعصب والجمود العرقي والثقافي، وبلا شك لن نتوقع من أحفاد هاتين الأسرتين غير ذلك.

الأستاذ /الخير الفهيم

برلماني من أعيان وقيادات منطقة المسيرية

الكلمة الرابعة

حقاً إنها سيمفونية، سيمفونية الخريف زمن السرد الجميل، هذه زكريات وملامح خطها البارع المبدع الشاب الدكتور صلاح الدين دعاك بقلمه الذي يذوب رقة وروعة وجمالاً عن منطقة جميلة ومجتمع جميل في بلاد المسيرية وفي مدينة المجلد على وجه التحديد. مدينة المجلد التي عاش فيها أجمل أيام طفولته وصباه ونهل من ناسها ومروجها الخضراء كل هذا الاشراق والجمال، قسم الكاتب عطاءه الثر إلى أبواب هي عناوين قائمة بذاتها منذ المقدمة الضافية وصولا إلى رحلة الوالد الأستاذ المربي اللماح الموهوب والده عبد الملك أحمد دعاك منذ ميلاده بالتميراب ويفاعته وطفولته بين أهله وعشيرته بدامر المجذوب حتى رحلته المدهشة المثمرة إلى بلاد المسيرية. سيرة لايشبع منها الإنسان، ولو بدأت أكتب عن أخي عبد الملك دعاك عن طفولته وصباه الباكر بل عن عبقريته الباكرة وملامح النجابة بين أبناء جيله لما كفتني كل صفحات هذا الكتاب، ولا عن أهل آل دعاك. الدعاعيك رواية طويلة وواسعة ومتأصلة بين أهله في الدامر وبيت من البيوت الكبيرة التي ترتبط بكل الأسر بدءاً ببيت كاتب هذه السطور وبقية بيوت الجعليين الكبيرة، وهذا ما أود أن أفعله أنا في يوم من الأيام فأكتب عن هذا المجتمع العظيم الملئ بالقيم والعلوم والمعارف والأدب والتراث والثقافة في دامر المجذوب الذي أنبت عبد الملك أحمد دعاك والذي ترك لنا هذا الشبل الوفي الدكتور صلاح الدين الذي أعطى فأجزأ وأبان فأوفى وعبر عن عميق حبه لأهلنا المسيرية العظماء الذين نشأ بينهم ومعهم كأبناء عمومة في طباعهم وفي

عاداتهم الحميمة وفي إعجابنا بالصورة الرائعة لزعامتهم ولزعيمهم الكبير حكيم الوطن كله الناظر الراحل بابو نمر ويالها من سيرة عطرة .

الأسماء العطرة لآبائنا وأعمامنا الكبار الرواد في المجلد بشير التجاني، أحمد أبوشعير، يوسف الدقير، وغيرهم من الرموز والأعلام كانوا صورة صادقة للتمازج القومي بين أبناء الوطن الواحد الممتد ومروج النيل الخضراء إلى مراعي كردفان التي صدق فيها قول آبائنا (أم خيراً برا)، الكتاب يذكرني سفراً عظيماً كتب منذ حوالي ستين عاماً للعلامة الكبير عبد الله الطيب الذي تعود جذوره إلى جزيرة شاع الدين الخضراء وعبد الله الدروب مسقط رأسه أعني كتاب حقيبة الزكريات، فجاءت إبداعية صلاح على ذات الطريق ومدخلاً لمن أراد أن يكتب عن هذا النهج القومي الوفي الذي يخلد لنا عبقاً خالداً من مدن ومجتمعات سودانا الكبير .

لقد ابدعت إيها النطاسي العالم في كل ما كتبت فهنيئاً لنا بك وهنيئاً لأهلك في المجلد بهذه الكلمات البارعة التي رسمت هذا المجتمع الجميل ، تحية خالصة لك ولما أبدعت.

الفريق أول دكتور

بروفسيور/عمر قدور

رئيس إتحاد الكتاب والأدباء

الكلمة الخامسة

سلام زاكٍ وتحيات طيبات تغشاك بكرة وعشيا.

لا أدرى هل أنت أديب وقاص.. ضل مساره إلى الطب..أم نطاسيبار عفتنه الأدب؟ ولعلك أديب الأطباء ..وحكيم الأدباء..

طالعت ما خطه يراعك.. في سيمفونية الخريف. ذكريات وخواطر من منطقة المجلد. تابعت بمتعة وسرور كل ما ورد في هذه السياحة القيمة رأيت أن أسلط بعض الأضواء على بعض الزوايا لتكتمل أبعاد الصورة الزاهية أولا..كان مجتمع المسيرية عامة والمجلد خاصة جاذبا ومرحبا بكل قادمي حمل خير او خاصة التجار والموظفين والمدرسين ورجال الشرطة والجيش.. إلى الدرجة التي جعلت الكثيرين من هؤلاء القادمين الأخيار.. يختار المجلد موطنا ويصاهر أهلها ويصير جزءا لا يتجزأ من مجتمع المسيرية الجاذب والمتسامح. كان المعلمون هم نجوم المجتمع يكرمهم الناس ويحترمونهم.. كان الأستاذ عبدالملك دعاك أستاذا مميزا بمظهره المهيب وهندامه الأنيق ومحياه الودود الباسم. كان شعلة من النشاط معلما ناجحا محبوبا. وخطيبا مفوها يأخذ بألباب السامعين ومشاعرهم. فاندمج في المجتمع اختلاط الماء بالراح.. وكانت مصاهرته لأسرة من كرام الأسر أسرة التجاني.. التي جاء أسلافها لنشر العلم والتعليم أولا ثم التجارة والكسب .. لقد كان وجود الأستاذ عبدالملك في منطقة المسيرية وباختصار شديد إضافة نوعية مميزة وهامة. ولعل الذين لم يتشرفوا بلقائه ومعرفته

قد عرفوا بعض قيمته من خلال أبنائه الأفاضل وبناته الفضليات. فبثمارها تعرفونها. كما قال السيد المسيح عليه السلام. ثانيا.. التميراب. ليست ككل البلدان. فهي بلدة العلم والعلماء والزهاد.. بلد أنجب أمثال د.عبدالله الطيب ومحمد المهدى المجذوب وغيرهما. وكان لا بد من الحديث عن الشعديناب وبعض علمائهم وشعرائهم أمثال السر قدور وغيره... أحداث الذكريات. تدور حول شريحة من مواطني المجلد وذلك نتيجة لعلاقات الكاتب بالزمان والمكان والأشخاص الذين عاش طفولته العامرة بين ظهرانيهم.. كما أن المنطقة أخرجت رئيس أركان ومحافظ جنوب كردفان.. عندما كانت جنوب كردفان تعادل أكثر من ولاية.. ومنها رئيس أركان الجيش السوداني أيام عزته.. ومنها أول طيار حربى قاد الأنتينوف. وأول حاكم لإقليم كردفان الكبرى ونائب حاكم لنفس الاقليم.. وكثير من المجالات الأخرى.. هذا كله للمثال وليس للحصر.. أردت بهذه الملاحظات البسيطة أن أوسع دائرة الاهتمام بهذا السفر القيم.

وما التوفيق إلا من عند الله العزيز..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

الأستاذ/ عبد الرسول النور إسماعيل

من أعيان وقيادات منطقة المسيرية

الكلمة السادسة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه أجمعين

الكتاب الذي خطه النطاسي الأديب صلاح الدين دعاك من بلدة المجلد، مرتع الطفولة العامر، جاء أنشودة عرفان ووفاء منظوماً على سيمفونية الحسن والبهاء .. الخريف في المجلد والخريف في ديار المسيرية... وكل كردفان. الخريف هناك هو الربيع في لغة أهل الشام والروم وفارس .. أجمل وأبهى وأحب فصول السنة وإليه ينسب كل جميل ومحبوب.

وأنا مثل آل صلاح دعاك أسرتني المجلد، الوطن الصغير، بسحرها الأخاذ وأهلها الكرام النجباء منبع المحنة ومقصد القاصدين.

فالكتاب وما تحمله أسطره الغنية الصادقة يعبر عنا جميعاً في إسداء الشكر والتقدير والاحترام لأهل المجلد ولسكانها الأصيلين من قبائل المسيرية والوافدين إليها من الجلابة والفلاته والدينكا وغيرهم من المناطق المجاورة من كل أنحاء السودان الحكومة والشرطة والمعلمين والصحة والعلاج والسكك الحديدية - وكلهم بشهادة الجميع عاشوا إخواناً متحابين في الله بصورة لا نجد لها مثيلا في الدنيا. وقد شهد أحد مديري مراكز الشرطة في المجلد (في الستينيات) أنه يمر الأسبوع والأسبوعان ولاتدون الشرطة أي بلاغ جنائي. مسجد المجلد

العتيق هو جامعهم الذي يجمعهم بالصلوات وكل شئون الدنيا والآخرةّ. في العهد الذي حل فيه عبد الملك دعاك في الستينيات كان إمام المسجد هو العبد الصالح جرنيل القوني والمؤذن وسادن المسجد هو العبد الصالح أحمد بخاري وعلى رأس القوم الناظر بابوني علي الجلة عليهم رحمة الله ورضوانه.

قدم الأستاذ عبد الملك دعاك إلى المجلد في العام ١٩٦٧، وهو خريج جامعة أم درمان الإسلامية. غير أن مؤهلاته الأعلى والأقوى هي انتماؤه إلى مدينة الدامر. دامر المجذوب وهو الشيخ محمد المجذوب بن قمر الدين العبد الصالح والولي الكامل الذي انتقل إلى الدار الحق في العام ١٢٤٧ه الموافق العام ١٨١٧ الميلادي تقريباً. عاش في المدينة المنورة ومارس التدريس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم. ونظم العشرات بل المئات من أبلغ القصائد في مدحه صلى الله عليه وسلم.

حل الأستاذ عبد الملك دعاك بالمجلد منقولاً في وظيفة معلم للمعهد العلمي ومرشد ديني للمجتمع في كل علوم الفقه واصول الدين والدعوة واللغة العربية. وقيض المولى عز وجل له أن تكون منزلته في منزل الحاج بشير التجاني حسب الله، من أكابر أعيان مدينة المجلد وهو جار للمسجد واحد سدنته والقائمين عليه ويقوم مقام الإمام الخطيب في حالة غيابه.

ثم كان مما قضى الله أن تتوثق العلاقة والإخاء في الله بين الضيف والمضيف إلى المصاهرة المباركة وأن تتوثق عرى المحبة بين الأسرتين ثم بين الأستاذ عبد الملك وذريته الطيبة مع سكان المجلد وبلدة المجلد بنماذجها الإنسانية الصافية وبرهودها وكثبانها وغاباتها وأشجارها ونقعاتها على النحو الذي صوره ابنه الدكتور صلاح دعاك أبدع مايكون التصوير وعبر عنه بأصدق مايكون التعبير.

السفير

أحمد التجاني محمد الأمين

الكلمة السابعة

الأخ الصديق / الدكتور صلاح دعاك ..

لك الشكر والتقدير وأنت تحملني مسؤولية تحديد زوايا ذاكرتك الفوتوغرافية وأنت ترسم وتخيط بحرير الذكرى فتق وجراح آمال لنجد مداواتها في هذا الكتاب الذي يسجل خواطرك في المجلد. لن أبالغ وأنا أتلمس هذه الأحرف وكأني أقرأ الأوراق الثقافية للكاتب غابرييل غارسيا ماركيز صاحب مائة عام من العزلة. .حيث تقع المشابهة في فضاءات بناء خيال خصب لرسم وتصوير الشخصيات وتجريدها من عباءة الذات إلى الموضوعي. . إذا كان غابرييل قد استهدف جنرالات مجتمعه ، كاشفا عن شنائع ما تحت خوذاتهم .. ليطهر مجتمعه من قبضة تاريخية كتلك . . إلا أن الدكتور دعاك استطاع أن يلبس مجتمعه ثوب العفة وأخرجه من قارورة تلك التواريخ التي تلعب دوراً في زحزحة الحضارات. . ليتمدد دعاك ومجتمعه على حضارة وذكريات يختزنها العقل الباطن ليقذف بها فجأة إلى عالم الوعي.. مما يجعلني أميل إلى تثبيت حقيقة ، هي أن الكتاب محل الخاطرة عالج الفرق بين الجنس الأدبي والمقال السياسي. على نحو ما أرى وأسجله شهادة على الكتاب الخاطرة.

كثيرٌ من الناس في واقع الأمر .. ولكوني كاتباً صحافياً ومحللاً سياسياً وقاصاً (بتواضع) ، يوجهون لي أسئلةً كثيرة أجدها في بعض بحوث الطلاب النجباء ..البعض يسأل عن الفرق بين أو العلاقة بين كتابة المقال السياسي وكتابة القصة القصيرة ؟ في

الحقيقة ليس كل قاص كاتباً للمقال السياسي إلا القليلين.. ولكن كل كاتب للمقال السياسي بإمكانه أن يكون قاصاً أو روائياً .. لأن القصة أو الرواية أو أي جنس أدبي كثيرا ما يأخذ موضوعه من المجتمع وإفرازاته السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية كل إفرازات المجتمع التي تتمظهر في شكل عطائه السياسي والتنموي والمعرفي ونتيجة للتحول الذي قد يحدث سياسياً للمجتمع من تعسف سياسي وتبادل للحكومات في شكل متواليات عددية وشموليه وغير ذلك .. فالقاص الحقيقي المبدع هو الذي يستطيع أن يروج منتوج مجتمعه في مظاهره المختلفة إلى شكل من أشكال الفنون المختلفة .

تعبر عن ممارسات المجتمع في زمن من الأزمان ومكان من الأمكنة .. يعبر ويسوق فنياً هذه الظواهر عبر بناء درامي سميك غير مخلّ وحلول ومعالجات للمظاهر السالبة ..هو في الحقيقة مثلما نحن نكتب ونذكر في المقالات السياسية الظواهر السالبة للمجتمع أو سالبة داخل الحكومة نتقدها ونعرضها للرأي العام ، الأمر هنا يختلف في القصة القصيرة .. ففي الجنس الأدبي دائماً تجد مساحةً خصبة لمعالجة الظاهرة الشاذة السالبة عند الكتاب الملتزمين بتقاليد مجتمعاتهم وتقاليد البناء الفني الذي يهدف للأحياء وليس موات المجتمع ،، فهي تنأى بالظاهرة السالبة شيا بعيداً على عكس كاتب المقال السياسي .. لأن القصة القصيرة تلامس العصب الاجتماعي للمجتمع المعين .. أما المقال السياسي فقد يكون من مزاج الكاتب .. قد لا تكون هناك ظاهرة سالبة ولكن قد يكون الكاتب متحاملاً على جهة ما .. بالتالي قد يصور أشياء لخدمة أجندته أو أجندة آخرين .. ولكن الكاتب الفني لا يمكن أن يختلق حكايةً كاذبة فهذا هو الفرق الكبير بين كتابة القصة أو أي جنس أدبي والتحليل السياسي.. وهذا ما استطاع فعله وعقله النقدي وذاكرته المحتشدة بالجمال. .

مع تقديري

الدكتور /محمد نور حامد

كاتب صحافي

الكلمة الثامنة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما أنعم حمداً كثيراً به يجلو عن القلب العمى ثم الصلاة بعد والسلام على النبي زينة الإسلام محمد خاتم رسل ربه وآله من بعده وصحبه.

ثم أما بعد:

الفتى صلاح عبد الملك الدعاك ابن العشرة أو الاثنى عشر عاماً الأبيض اللون المائل إلى الحمرة ذو الملامح العربية لا يتصف بطول أو قصر ربعة تقرأ في عينيه ذكاء وفطنة يرتدي جلباباً قصيراً أبيض أو مزركشاً أجده مع والده غالباً في صلاة المغرب أو مع الراعي الأطرش وهو يتبع بقرات اللبن في الفسحة التي تفصل بيننا في السكن والتي تجتمع فيها أبقار الحلة للسروح هذه هي الصورة التي لازلت أحتفظ بها لأني لم أقابل الفتى منذ ذلك التاريخ الباكر في ثمانينيات القرن الماضي.

والده عبد الملك أحمد الدعاك هو في عمر معلمينا كالأستاذ شموخا وعرفاناً لأنه عندما عين معلماً في المرحلة الوسطى كنت أنا تلميذاً في الصف الثاني في الفولة الوسطى. عملت مع الرجل في المرحلة المتوسطة كان مميزاً في سمعته ولغته وأخلاقه كان معلماً للتربية الإسلامية واللغة العربية وإماماً في خطبنا لمسجد المجلد العتيق.. أول من خطب من على المنبر دون أن تكون الخطبة مكتوبة،أول من صلى بالناس بالقرآن مجوداً في هذا المسجد العتيق.. يجتمع إليه الناس من

أطراف المدينة لجزالة خطبته وطلاوة قراءته.

جد الفتى صلاح لأمه هو بشير التجاني حسب الله أمين سر تجار المجلد والإمام غير الراتب في المسجد وخطيب المناسبات القومية.

أما الكتاب:

فقد أدهشتني هذه الذاكرة المتقدة .. أدهشتني الدقة والسرد السلسبيل الذي كأنه ينساب من علٍ أدهشتني جوامع المعلومات في السطور القليلة لمجموعة أحداث كبيرة متشابهه مختلفة تعطيك في النهاية عصارة المعاني مما يدل أن الكاتب قد تشبع بلغة القرآن كما في سنورة يوسف.

الكتاب لا يؤسس لفكر أو تجربة او نشاط لمجموعة سياسية أو ثقافية يعيشها الكاتب بل كان يحكي عن معايشة بريئة في عمر خالي الغرض لذلك كان خالياً من الصناعة ... هذه القدرة الهائلة للكاتب وحتى لايخرج الكتاب عن موضوعه جعلتني أتمنى لو كتب الدكتور صلاح كتاباً آخر عن حركة النهضة في المجلد.

وددت لو أن الكتاب تطرق لبعض التقلبات ولو أشار إشارة حقيقية للآثار السالبة لانفصال الجنوب وقضية أبيي...

وددت لو أن الكتاب تضمن بعض الاشارات الحقيقية لدور أبناء جيل الكاتب تجاه نهضة المنطقة. أخيراً أقول رغم فارق السن ورغم معايشتي في المنطقة إلا أني أعترف بأني لا أستطيع أن اجاري هذا السفر.

أخوكم/ أحمد الصالح أحمد صلوحة

من أعيان وقيادات منطقة المسيرية

الكلمة التاسعة

المجلد مدينتي

عبق الذكرى، طبق الكسرة، ود المطرة... جمال الطبيعة الخلابة، وبراءة الصغار.....

د. صلاح الدعاك/ هو جزء من جمال هذه المدينة.

أجمل اللحظات قضيتها وأنا أقرأ هذا الكتاب الذي جسد كل ماهو جميل في هذه المدينة التي لا يسعني إلا أن أسميها الأرض الطيبة ، كل ماقيل في هذا الكتاب قد عشناه حقيقة بكل التفاصيل الجميلة وهذه من نعم الله علينا.

حتى الآن عندما تجمعنا المناسبات «أفراح- أتراح» نحن من عشنا في المجلد صغاراً وكباراً، جميعنا نبكي لمجرد اللقيا اشتياقاً لتلك الأيام الجميلة. هذه الأرض الطيبة أثمرت ثمارها فمن أبناء هذه المدينة الوزراء والسفراء والأطباء والصحفيون والشعراء والرياضيون والكثير الكثير من المعلمات والمعلمين.

أهلي المسيرية، أقولها بصوت عال هم أنبل وأكرم وأشجع وأطيب الناس، هؤلاء الحمر ما أروعهم نساءاً ورجالا. د. صلاح الدعاك هو جزء من جمال هذه المدينة الراقية والوادعة جزء من طيبة هذه البلدة ويدل احتفاظه بهذه الذكريات والتفاصيل حتى الآن على حبه لهذه الأرض وانتمائه لها ويعد هذا الكتاب إنجازاً عظيماً.

د. صلاح الدعاك أنا أعتبره ثمرة من ثمار هذه الأرض فلقد كان منذ طفولته مطيعاً ومفكراً ومبدعاً ومتميزاً بين أقرانه وسنداً لجده بشير التجاني ووالده الذي أحسن تربيته.

في الختام أشكر د. صلاح على السعادة التي أدخلها في قلوبنا وسيدخلها في قلوب كل من يقرأ هذا الكتاب الذي لم أكن أتوقع في يوم ما أن يصدر مثله وأرجو له التوفيق والسداد.

وشكراً

الأستاذة

رقية الأمين الدسوقي

من التميراب
إلى المجلد

من التميراب إلى المجلد

خرجت أسرة عبد الملك أحمد دعاك من مسقط رأسه منطقة التميراب[1] بعد فيضان ست وأربعيّن (١٩٤٦) بغرب النيل إلى منطقة الشعديناب[2] بشرق النيل عند منطقة الدامر في الثالثة من عمره وهو الأخ الأصغر لأربعة إخوان وأربع أخوات نشأ على نار القرآن الذي كان يدرسه والده أحمد دعاك الملقب بشيخ حسنين ، كان والده رجلاً صارماً وحازماً درس العلم وحفظ القرآن في خلاوى الغبش ونال الشهادة العالمية وتم تعيينه قاضياً شرعياً لكن اعتذر عن القضاء لحدة مزاجه وتخوف أن هذه الحدة توءثر في قراراته القضائية فعكف على تدريس القرآن وهو ابن العمدة أحمد دعاك الكبير الذي عرف بالتدين والصلاح... يقال إن شيخ حسنين أتى في شبابه إلى منطقة الجيلي زائرا خلاوى الزبير باشا في الجيلي وكان الوقت مساء فقضى الليل مع حفظة القرآن وعند صلاة الفجر بدأ يقرأ القرآن قراءة صحيحةً بصوت جهوري واضح فنادى الزبير باشا من داخل حجرته متسائلاً ، من بالخارج فرد عليه تلامذته إن معنا ضيفاً، فناداه شيخ الزبير وتعرّف عليه ، فأعطاه بيتاً من الشعر (لا أذكره) وطلب منه أن يعربه فلما أعربه بصورة صحيحة طلب منه شيخ الزبير باشا أن يدرَّس عندهم ويكون مسؤولاً عن إحدى حلقات العلم في خلوته . قضى معه فترة لكن سرعان ما عاد إلى الدامر وعكف على تدريس العلم في منطقة الشعديناب ، أنجب ابنه الأكبر يوسف أول ابنائه سماه

(١) التميراب: منطقة تقع غرب النيل في منطقة الدامر ضمت عدداً من العلماء منهم بروفسير / عبدالله الطيب .

(٢)الشعديناب : أحد أحياء منطقة الدامر في شرق النيل عرفت بالعلم والعلماء وهي أساس مدينة الدامر ، كما ذكر بروفسير عبدالله الطيب في تقديم لديوان بروفسير عمر قدور (صوت من السماء).

الزبير تيمنا بالشيخ الزبير باشا .

أكمل عبد الملك الدعاك الكتاب في الدامر وانتقل إلى الخرطوم ليلتحق بالمعهد العلمي وأبدى نبوغاً وتفوقاً في علوم الشريعة واللغة العربية فتخرج فيه بتفوق فالتحق بجامعة أمدرمان الإسلامية والتي تخرج فيها من كلية الشريعة واللغة العربية...خلال إقامته في أمدرمان كان يسكن في بيت عمه عباس دعاك في العرضة بأمدرمان جوار أستاد المريخ من الناحية الشرقية .عرف عباس دعاك بدمائة خلقه ولين الجانب وحفظه للقرآن وتعاليمه مما ساعد عبدالملك الطالب في ذلك الوقت علي الدراسة والتزام تعاليم الدين حيث كانت البيئة متصوفة ومتدينة وجد أبناء عمومته في عمره وهم يهتمون بالقراءة مثل بروفسور عبدالمجيد دعاك ومحمد عباس (أبوظريفة) وأيضا سكن الطالب عبدالملك في ذلك الوقت بمنزل أخيه الأكبر يوسف دعاك في أمدرمان الذي كان بيته مفتوحاً للأسرة وعُرف بالكرم وحبه لأهله وأسرته وخلال تلك الفترة عُرف الطالب عبد الملك بنشاطه في الجامعة وكذلك ممارسته بعض النشاط التجاري حيث يجلب منتجات الشمال كالسعف والحبال التي تنتج محلياً بالدامر قبل أن يغزو السوق السوداني الحبال الصينية البترولية وحبال البلاستيك فكانت مُعينة له في دراسته حتى تخرج في جامعة أمدرمان الإسلامية في العام سبع وستين وتسعمائة وألف ، بتقدير جيد جداً...بعد التخرج تم توزيعه معلماً إلى مدرسة المِليك وهي مدرسة بنات معروفة وكانت تعتبر مدرسة عريقة وفرح بهذا التعيين وكان في السادسة والعشرين من عمره شاباً أنيقاً . في تلك الأيام الأولى لتعيينه زاره أخوه الأكبر يوسف دعاك ليعرف مكان عمل أخيه الأصغر فوجد المدرسة مدرسة بنات! والبنات خرجن للفسحة وصلاة الظهر «فدخل عليه ووجده في المكتب وقال له «ياخ ما تشوف ليك شغلة رجال»...فحينها شعر الوالد أن هذه المهنة «تدريس البنات» غير مرحب بها بين إخوته ولربما يزعجه إخوانه خاصة الذين يأتون من الدامر ومنطقة الشعديناب حيث كانوا أكثر تشددا وبعضهم لم يواصل في التعليم

النظامي واكتفوا بدراسة تعاليم الدين وحفظ القرآن بالخلوة، يوسف دعاك أخوه الأكبر كان رجلا حكيما وعلمته الحياة درس بالخلوة أصول الدين والقرآن، سألته ذات مرة لماذا لم يدرس التعليم النظامي ، فحكي لي أنه بدأ دراسته بالمدرسة النظامية للسنة الثانية وذات يوم في أحد أيام الشتاء أصيب الأطفال بالزكام فطلب الأستاذ من كل طالب أن يحضر منديلا لينظفوا به أُنوفهمَ إذا دعا الأمر ، فعندما رجع الأطفال لأهاليهم وحدثوهم بموضوع المنديل ، تجمهر الأهالي واتهموا الأستاذ بأنه يريد أن يعلم الأولاد أشياء (البنات) وأن هَّذا المنديل سيؤثر فيهم ويجعلهم أولاداً ناعمين مرفهين مما يؤثر في رجولتهم، هذه الثورة جعلت عدداً كبيراً من الأهالي يمسكون ابناءهم ويمنعونهم من الذهاب للمدرسة خشية إفسادهم حسب رأيهم مما اضطر السلطات لقفل الفصل أعواماً عدة لعدم وجود راغبين في الدراسة، لذا عدد منهم لم يدرس وكان منهم العم يوسف حيث اتجه للخلوة وترك المدرسة. لذا عرف الوالد عبدالملك أنه إذا استمر في التدريس بمدارس البنات ووصل هذا الخبر إلى أهله في الدامر قد يكون لهم رأي آخر ، فخرج من المدرسة إلى مكتب التعليم مباشرة وطلب منهم نقله إلى مدرسة أولاد...فرفض مكتب التعليم وخيره بين الاستمرار أو الذهاب إلى منطقة في غرب السودان تسمى المجلد فقبل فورا ، رغم أنه لا يعرف عنها شيئاً ولم يسمع بها من قبل لأن هذه الأحداث كانت في العام سبعة وستين (١٩٦٧) قبل أن يدخل البترول إلى المجلد وتعرف على نطاق واسع .. فأخذ أوراق نقليته إلى المجلد وذهب إلى محطة السكك الحديدية وكانت هي المواصلات الوحيدة التي تذهب لتلك المنطقة فسافر إلى المجلد وبعد أربعة أيام من السفر بقطار نيالا وصل إلى مدينة بابنوسة وهناك سأل عن المجلد وكيف يصل إليها ووجد بصاً وحيداً يذهب إلى تلك المنطقة يسمى (باص ضحية) وسأل الرجل الذي دله على (باص ضحية) عن المجلد وأين ينزل ؟ وهل هناك مكتب تعليم أو لوكاندة ؟ فقال له هناك في المجلد يسكن الضيوف مع أعيان البلد أسرة الناظر بابو والتجار وبيوت المجلد كلها مفتوحة للضيوف في ذلك الوقت وأعطاه ثلاثة أسماء أحمد أبو شعير

وكان تاجراً معروفاً، وعبد الرحمن عبد القادر وبشير التجاني وقال له هؤلاء الثلاثة أنا أعرفهم يمكن تنزل عندهم وكثير من الضيوف ينزلون عندهم فأخذ الأستاذ عبد الملك الورقة وبعد ساعة ونصف من السفر وصل إلى المجلد التي تبعد خمساً وثلاثين كيلو متر فقط من بابنوسة حيث كان الوقت خريفاً والطرق مليئة بالطين و الوديان... فنزل ذلك الشاب ابن السادسة والعشرين ونادى على أقرب شخص مرَّ به وأخرج الورقة وسأله هل تعرف هؤلاء ؟...فأجاب الرجل أن الأول أبو شعير وهو يسكن في الجهة الجنوبية الغربية من السوق وهذا مشوار بعيد والثاني ، عبد الرحمن عبد القادر في شرق المسجد أما بشير التجاني فهذا بيته وكان لحسن الصدف أن وقف البص جوار سور بيت بشير التجاني الذي يفتح على سوق المجلد الكبير وقريب من المسجد، فقال له الوالد عبد الملك أنا لا أعرف أياً منهم فعليه أن يختار البيت الأقرب لأنه كان يحمل حقائبه وصناديقاً من الكتب فدخل البيت وكان بشير التجاني وقتها في السوق، فأتى ليقابل الضيف الجديد، فالتقى به ورحب به وأحبه حيث وجد في ضيفه وهو خريج الجامعة الإسلامية مقومات الشاب الناجح حيث كان خطيباً مفوهاً وأقام دروساً في مسجد المجلد وكان أيضاً خطيباً وإماماً لمسجد المجلد وأستاذا للغة العربية التي كان يعشقها الشيخ بشير التجاني وأيضا كان يدرس التربية الإسلامية بالمعهد العلمي بالمجلد الذي أصبح المدرسة المتوسطة مؤخراً...

كان الأستاذ عبدالملك رجلاً نشطاً يمتلئ حيوية دخل في مجتمع المجلد وانسجم معه ونشأت بينه وبشير التجاني علاقة أساسها الدين والعلم فتزوج ابنته الكبرى نادية وكان الزواج يعد تدبيراً إلاهياً، حيث إنه لولا دخول أخوة الأكبر لمدرسة المليك وقوله له «شوف ليك شغلة رجال» لما ترك أمدرمان وتحرك إلى المجلد هذا البلد البعيد وعندما تقدم إلى خطبة بنت بشير التجاني كان هناك انقسام في الأسرة، فكان بعضهم يعتبر أن هذا الرجل الذي أتى من شمال السودان من منطقة لا يعرفونها كثيراً منطقة الدامر، والشعديناب سيأخذ ابنتهم إلى تلك المنطقة

البعيدة ولن يستطيعوا زيارتها لكن والدها بشير التجاني كان قد وصل الى قناعة أن هذا هو الرجل المناسب لابنته وكذلك هو عندما أتى إلى أهله في الدامر ، وأخبر أهله أنه يريد أن يتزوج ابنة رجل من تلك المنطقة البعيدة من ديارهم أيضاً وجد معارضة وكانوا يعتبرون أن هذه المنطقة بعيدة ولم يسمعوا بها من قبل لكنه استطاع أن يقنعهم وتحرك معه لزواجه عدد لا يتجاوز الاثني عشر ، ست نساء وأربعة رجال وقليل من الأطفال من الدامر وكان العدد قليلاً لبعد المسافة وعدم معرفتهم بالمنطقة، ، فرَكِبوا القطار من الدامر إلى الخرطوم في يوم كامل ثم انضم لهم عدد من الأهل في الخرطوم و ركبوا قطار نيالا من الخرطوم إلى الرهد في يومين ثم من الرهد إلى بابنوسة في ثلاثة أيام وكان الموسم خريفاً وموسم أمطار ثم من بابنوسة بالبصات إلى المجلد فكان السفر إلى تلك المنطقة فيه مشقة لأناس لم يتعودوا على السفر الطويل إلا للعمرة أو الحج. فتم الزواج وتعارفت الأسر وكانت علاقة مميزة بين أسرتين كبيرتين أسرة التجاني وأسرة دعاك. الذي ألاحظه في هذا السرد أن أهلنا في المجلد لم يقبلوا مباشرة بشخص أو زوج أتى من العاصمة ولم يكونوا يشعرون بأنهم أقل حالاً من أهل العاصمة أو الشمالية فترددوا وطلبوا أن يعرفوا هذا الشخص الزائر الجديد وكذلك أهلنا في الشمالية ترددوا أن يقبلوا بالمصاهرة بأسرة في مناطق بعيدة من ديارهم إلا بعد أن سألوا واستوثقوا عن أسرة الزوجة وأهلها ولم يكن يهمهم السؤال عن المال أو الجاه بل الدين وأصل الأسرة وهذا يعكس التوازن بين مناطق السودان المختلفة والعاصمة في ذلك الوقت ، وأيضاً تردد الأسرتين في بداية اللقاء يعكس المحافظة على القيم والتقاليد في الزواج والمصاهرة، وبعد أن تم الزواج كانت العلاقة بين الأسرتين من أفضل العلاقات وكان جَدُنا بشير التجاني يقدر أسرة عبد الملك وأبناءه وكان يعتبرها مشروعه الخاص وهو الذي اكتشف الأستاذ عبد الملك وضمه للأسرة وهي علاقة متبادلة حيث كان الوالد عبد الملك يقدر الشيخ بشير التجاني بصورة لا يعلمها إلا شخصاهما فنشأنا بين هذا الحب والتقدير لكليهما. كل هذا لم تكن تعلم به المخطوبة لأنها كانت تقرأ في الأبيض في مدارس الكمبوني وعندما رجعت

من إجازتها المدرسية وجدت أن الأمر محسوم وحجزت لتتم مراسم الزواج ولم ترجع أو ترى الكمبوني بعد ذلك اليوم.

بقي الأستاذ عبد الملك بالمجلد فترة ثم انتقل إلى مدرسة أبو زَيد المتوسطة لمدة ثلاثة أعوام ثم انتقل إلى المجلد مره أخرى حيث واصل التدريس وشارك الحاج بشير في إدارة مشروعه مع شركة شيفرون الأمريكية وفي العام خمس وثمانين انتقل إلى بابنوسة. أثمر زواجهما بإنجاب ذريه صالحة نافعة ناجحة منهم تماضر وهي الابنة الكبرى ، ومتزوجة من الأستاذ عباس جباره وتهاني متزوجة من محمود إبراهيم التجاني صيدلي ، ودكتورة انصاف وهي طبيبة ومتزوجة من أ/ خالد يوسف الدقير والدكتور/ أحمد عبد الملك الدعاك وهو طبيب ومن القيادات الشبابية والثقافية والأدبية في السودان أعد رسالة الدكتوراه في جامعة فوردهام بالمملكة المتحدة وأيضا نور الدين درس إدارة الأعمال وهو من الشباب الناجح ورجل أعمال ناجح يعمل وكيلاً لمصانع الأسمنت والحديد ومهتم بالرياضة وله إسهامات اجتماعية كثيرة ومحمد المجتبى درس الاقتصاد بجامعة الخرطوم وله أعماله التجارية الناجحة ولبنى طبيبة تخصصت في الباطنية والصدر متزوجة من الأستاذ مصعب محمد شمس الدين وباش مهندس محمد المصطفى تخصص في هندسة المساحة وهو شاب ناجح له إسهامات اجتماعية وفكرية بين الشباب وبتوفيق من الله ثم بركة والدهم ودعوات والدتهم ناديه بشير التجاني التي عرفت بالصلاح ونقاء السريرة نبغوا في دراستهم وحياتهم العملية والاجتماعية.

ورغم أن الأستاذ عبدالملك وجد عروضاً كثيرة من منظمة التعاون الإسلامي في جدة للعمل لكنه كان دائماً يقول إن هدفه تعليم أبنائه وكان يعتقد أن السفر خارج السودان ربما يغير نظام التعليم ويؤثر على أبنائه لذا فضل البقاء في السودان.. ورغم تنقله في بلاد مختلفة لكن كانت مدينة المجلد محورية في مسيرته فبعد أن تقاعد كان في تواصل مع المجلد وقضى بها فترة يدرس بمسجدها ويخطب في منبرها حتى العام ألفين وخمسة وكان الأستاذ عبدالملك متصوفا من

أتباع الطريقة التيجانية التي أخذها من شيخ منقه بالفاشر، وكان من الشيوخ المعروفين الذين لهم أتباع كثر وكانوا يمدحونه في غرب السودان (شيخ منقه، الضميره أنقى السعيد ما بشقي) و(شيخ منقا المن التبر انقا) و هكذا. كان في المجلد نشاط صوفي كبير للتجانية بمذاهبها المختلفة.

مرض الأستاذ عبد الملك في العام ألفين وأربعة بمرض أقعده عن الحركة في ببيته بالأبيض لكنه كان مواظبا على الاطلاع والقراءة حتى وهو على سرير المرض وخلال تلك الفترة كان له تواصل مع أهل المجلد وكثير منهم زاره في بيته في الأبيض بحي البترول وفي العام الفين وخمس رحل الأستاذ إلى الخرطوم لمواصلة العلاج وسكن بمنطقة شمبات ببحري وتوفي هناك في العام ألفين وخمسة ، وكان ذلك في الحادي عشر من رمضان في يوم الجمعة الساعة الحادية عشرة صباحاً، كان يوماً شديد الحرارة وكنت أسأل نفسي كيف تقام مراسم الدفن في هذا اليوم شديد الحرارة والجميع صائمون...وعند الدفن في الساعة الثانية والنصف بعد صلاة الجمعة تحرك المصلون من شمبات إلى مقابر حمد النيل بأمدرمان حيث دفن معظم إخوانه وأخواته وعندما بدأ موكب الجنازة فإذا بسحابة ظللت الموكب فقط شهدها كل من حضر التشييع وسارت هذه السحابة مع مسيرة الجنازة، هكذا كما أقول من شمبات إلى مقابر حمد النيل، وهناك وقفت هذه الغمامة حتى تمت عملية الدفن وكذلك لاحظ الذين حضروا المقابر و المشيعون أن الأرض رغم صلابتها في الصيف وصعوبة حفرها لكن تفاجئوا بأن القبر كان يخرج منه التراب المبلول بالماء وهذا ما شاهده الحضور، ودفن جسده المبارك الطاهر في مقابر حمد النيل وخطب في المشيعين ولفيف من الناس بروفيسور الهادي محمد تجاني مُعَدِداً مآثره شاكراً المشيعين على حضورهم في ذلك اليوم الرمضاني الساخن. لفت نظري، أن البروفيسور الهادي التجاني رغم أنه خال لنا لكن عاش معظم حياته خارج السودان، لكن ما أدهشني أنه عدد صفاته ومآثره وذكر أشياء دقيقة عنه كأنه كان ملازماً له فأكد لي عمق علاقة الأستاذ عبدالملك بأسرة التجاني الكبرى الممتدة.

ترك الأستاذ عبد الملك مكتبة ضخمة بها كثير من الكتب التي ورثها عن والده وكذلك كتب جمعها خلال مسيرته وتسفاره بين المدن. والذي أريد أن أذكره من كرامات الشيخ عبدالملك أن الغرفة أو الديوان الذي تركت فيه هذه المكتبة تعرض لحريق شامل حرق كل ما هو أمام المكتبة وما هو خلف المكتبة حريقاً كاملاً وبعد أن انتهت قوات المطافئ من الحريق وجدوا هذه المكتبة قائمة لم يمسسها شيء مما أثار دهشة الحضور وهو رجل عرف بالصلاح والتقوى فأطلق على هذه المكتبة (المجمرة) . ومن كراماته كذلك أذكر ذات مرة كان في البيت وحضرت إحدى بناته للبيت للوضوع مع والدتها، وهو كان ينوي السفر، فانتظر أسبوعاً ولم تضع ولم تظهر عليها أثار الموضوع فقام من الصباح وكتب (بخرة) وأعطاها إلى والدتها وأمرها أن تبخر بها ابنته علها تلد وكانت المفاجأة بعدها مباشرة ظهر عليها ألم المخاض وخلال ساعات وضعت وليدها الأكبر الذي سمي (محمد) وفي الصباح حمل حقائبه ليسافر إلى البلد الذي أحبه وعشقه المجلد...

بعد هذه السياحة مع الشيخ والأستاذ عبد الملك فلندلف إلى تفاصيل هذا الكتاب لنقرأ عن المنطقة التي أحبها وعاش بها شيخنا الجليل عبد الملك دعاك وفضلها على كثير من مدن السودان لتكون مسرحاً لتفاصيل حياته.

التعليم
والمدارس الابتدائية

التعليم والمدارس الابتدائية

المجلد شكلت بداية الطريق والأساس لحياتنا منذ أيام طفولتنا الباكرة التي تفرعت وشكلت الوجدان والإحساس تجاه الوطن الكبير...رغم سفري لكثير من الدول في العالم بحكم طبيعة عملي في المنظمات الدولية لكن ظلت المجلد والطفولة التي عشناها هناك هي المسيطرة على العقل والقلب.

بدأت الدراسة بمدرسة البندر الابتدائية حيث اقتادني والدي من يدي وأنا ابن السادسة إلى الأستاذ محمد جلال الدين الذى كان مديراً للمدرسة وقتها وكان اليوم الأول لفتح المدرسة، نزل الأستاذ محمد جلال الدين من عجلته الدبل ويحمل بسطونته الطويلة ويلبس مركوباً أنيقاً وجلابية ذات لون رمادي يميل إلى اللون اللبني فأخذنا إلى المكتب وكان في ذلك الوقت كل الكنب والأدراج خارج الفصول وبينما ذهب والدي مع السيد المدير إلى مكتبه وجدتها فرصة لألهو وأجري وأقفز بين تلك الأدراج. والتلاميذ ينظفون المدرسة من الأعشاب الكثيفة حول الفصول لأن الوقت كان خريفاً والأمطار غزيرة...في منتصف شهر يونيو كان معروفاً في ذلك الوقت أن الأسبوع الأول للدراسة يكون للنظافة وترتيب المدرسة...بدأنا الدراسة وكان الأستاذ حمودة دحلوب معلم الرياضيات بشعره الكثيف هو الأشهر بالمدرسة الابتدائية والأستاذ حماد والأستاذ الحاج حمدون وآخرين قد لا تسعفني الذاكرة لذكرهم جميعاً أسال الله أن يمتعهم بالصحة والعافية.

في السنة الرابعة انتقلت إلى المدرسة الجنوبية بقيادة الأستاذ الأمير مصطفى النعيم وكان مديراً للمدرسة الجنوبية وقتها حيث كانت المدرسة الجنوبية من المدارس المتميزة وأظهرت تفوقاً في ذلك الوقت بفضل إدارته وحزمه.

ومن الأساتذة أيضاً الأستاذ آدم محمد سالم والأستاذ آدم ضحوي... أساتذة كانوا في درجة عالية من الإخلاص والتفاني. في الامتحان من الابتدائي إلى المتوسطة تجمع الطلبة من كجيره والستيب وابطيخ والتبون والميرم وكل الضواحي حول المجلد حيث كان الامتحان في شكل مركز امتحان لكل هذه المناطق مجتمعة وكانت منافسة تهتم بها كل الأسر رغم بساطتهم لكن كان اهتمامهم بأولادهم والتعليم هو الشاغل الأكبر، كانت تعلن النتيجة في طابور يضم كل المدارس التي شاركت في الامتحانات وتأتي كل الأسر نساء ورجالاً يتجمهرون ويخرج رئيس لجنة الامتحانات ومدير المدرسة وكذلك رئيس لجنة الآباء للمدرسة ليعلن النتيجة ، فينادي الأسماء الناجحة دون ميكرفون كل الأسماء الناجحة تحت تصفيق الأهل وتجمع الأسر فكان مشهداً عظيماً يرسخ للنشء أهمية التعليم وأهمية النجاح وكذلك القبح والخزي والعار عند الرسوب. دخلنا المتوسطة ووجدنا أستاذاً من الطراز الأول ومديراً قل أن نجد مثله هذه الأيام ... الأستاذ عبد الرحمن مدني الذي تعلمنا منه اللغة الإنجليزية التي كان يدرسها بطريقته الخاصة ولا أظن أني أضفت كثيراً لقواعد اللغة التي تعلمناها في ذلك الوقت، والأستاذ آدم جبر الله الذي كان يدرس الرياضيات وتنظيمه الفريد واعتناءه بالسبورة ويبذل وقتاً في تسطير السبورة والكتابة عليها بعدد من أنواع التباشير الملون الصحي الذي لا يخرج منه غبار . عرف الأستاذ آدم جبر الله بالحزم والضرب بالسوط ولم يكن هناك غضاضة في ذلك حيث يأتي الأهل ويقولون للأستاذ «لك اللحم ولنا العظم». يعني اضرب كما شئت لكن لا تسبب كسوراً وذلك لقناعتهم بأن الأستاذ لا يفعل إلا ما هو في صالح ابنهم وأيضا لمكانة الأستاذ في المجتمع، لذا كان هناك عدد من الطلاب (يدبل) الملابس لكي يتقي سخونة السوط أو يضع (كركاسة) وهي خرقة من البلاستيك يقولون إنها تقي من شدة السوط. الأستاذ إدريس موسى علم (ببسطونته) الطويلة وطريقته المتفردة والطريفة أحيانا ، حيث كان يمر على الطلبة ليسألهم عن النحو والإعراب وكان يبدأ بأطول وأكبر تلميذ بالصف وإذا أخطأ ضربه ضرب المربي مما يجعل كل

التلاميذ الصغار في خوف وكان يقول (اضرب كيس وخلّ كييس يخاف) في إشارة ابدأ بإخافة الكبير فيخاف الصغير من تلقاء نفسه ، والأستاذ محمد المأمون أيضاً كان يدرس اللغة الإنجليزية بهدوء وترتيب وقد تعلمنا منه أصول الخط والكتابة، وعدد من الأساتذة المميزين الذين عاملونا بإخلاص كالأستاذ أبو القاسم والأستاذ بلة من جبال النوبة والأستاذ مراد وعدد لم أستطع ذكرهم.

امتحنا إلى الثانوية العليا وأحرزت درجة أدخلتني خور طقت الثانوية وهي من المدارس القومية التي كان يوزع لها الطلبة من كل السودان فكان قبول الطالب بمدرسة خور طقت هو مؤشر أن الطالب يسير في الاتجاه الصحيح، فكنا حوالي خمسة وثمانين قبلوا منا ثلاثة للدراسة بخور طقت ، فكان راسخاً عند المجتمع أن من يذهب إلى خور طقت فهو من المتميزين، ويزيد من هذا الشعور حيث كان يعلن الفائزون في الراديو ، والإذاعة في ذلك الوقت كانت شيئاً مهماً، فأذكر أنه سمع أحد الجيران في الحي في إذاعة كردفان أسماء الطلبة الناجحين الذين قبلوهم بمدرسة خور طقت فكنا نحن ثلاثة من منطقة المجلد ، فكانت الفرحة والمباركات في البيت، ومن الطلاب الذين قبلوا بخور طقت حسن محمد زامل حالياً طبيب بيطري الآن بالمجلد وجمعة عبد الله حمدان موظف حكومي في بابنوسة ومحمد أحمد عبد الله الذي ذهب إلى خور عمر وهي من المدارس المتميزة وهو طبيب الآن بالمجلد...وكان معنا في المجلد المتوسطة زملاء كثر من أبناء المجلد ومنهم أبو عبيدة سرو طبيب بيطري وسلمان فضيلي طبيب بيطري بسنار ، وأبو جبر شيبني حامد صاحب صيدلية بالمجلد وعبدالخالق حسن أبكر وونسي رئيس اتحاد ألعاب القوى بالفولة وبدوي الآن بلندن وحسن رمضان دليل أستاذ جامعي ومحمد رحمة الله النعيم تاجر كبير بالمجلد ومحمد رحمة عمر معلم ثانوي وعبد الله محمود حامدين أستاذ ثانوي وصالح عيسى صالح يعمل في المنظمات الدولية وسلمان إبراهيم أجبر موظف حكومي والرشيد علي نمر تاجر كبير بالمجلد وأحمد عبد الصادق وأبو عين وآدم بشتنه وبهاء أبو شعير ومنهم من توفي إلى رحمة الله الأخ الفاتح على شمو وعبد الرحيم عبد الله مهدي وعز الدين محمد

عيسى لهم الرحمة...وقائمة طويلة من الإخوان الذين أتواصل معهم حتى الآن أرجو أن يعذروني إذا لم أذكرهم جميعاً وهم في القلب والخاطر.

الملاحظ أن الأستاذ في ذلك الوقت كان مثالاً للطالب في كل شيء قدوة في المدرسة والبيت وأحياناً إذا كان الطلاب يلعبون الدافوري ورأوا الأستاذ يوقفون الكرة حتى يطمئنوا الى أنه ذهب، فكانت نظرة الطالب للمعلم بتقدير عالٍ جداً وكذلك نظرة المجتمع للأستاذ وكذلك الأسرة. فكان التعليم يعد من المهن النبيلة والأستاذ كان يُغَنَى له في المناسبات وفي أغاني الدلوكة، «عايزة لي عريس، لازم يكون لبيس ومن هيئة التدريس». فكان الأستاذ قدوة حقيقية، وغالباً ما يكون له مواهب أخرى تجذب الطالب والمجتمع، إما خطيباً مفوهاً أو عازفا على آلات الموسيقى، أو رياضياً معروفاً أو رساماً، فكان الأستاذ مكتفٍ مادياً وعنده فرصة ليمارس هواياته الأخرى. ويكون الأستاذ مصدر ثقة اجتماعية، فتلجأ الناس إليه لأخذ الرأي الصواب والحكمة حتى لحل نزاعاتهم الشخصية.

الأساتذة كانوا يراقبون الطلبة مساءً (مذاكرة مسائية) حيث كانت هناك أيام للمذاكرة الجماعية في المدرسة ، ولم تكن هناك كهرباء فتضاء الفوانيس وكذلك (الرتائن) وهي تعمل بالجاز ولها شاشه تضيء بصورة جيدة وتتيح للطلبة الدراسة بسهولة، لم تكن هناك دروس خصوصية ولا يوجد أستاذ يذهب الى طالب في بيته، والمدارس الخاصة والقبول الخاص كان للذين لا ينجحون فقط ويكون مساء ويعد عيباً أن يقرأ الطالب في المدارس الخاصة أو المسائية وهذا عكس ما يحدث الآن تماماً حيث التعليم الخاص والمدارس الخصوصية أصبحت هي (الموضة) وعلا شأنها وأصبح الأستاذ هو الذي يسعى للطالب وليس العكس.

الأساتذة كانوا يأتون من مدن متفرقة مثل كادقلي والأبيض والدلنج، ويسكنون في بيوت أو (ميزات) قريبة من المدرسة، وهذا التنوع وسط الأساتذة كان يعطي التعليم البعد القومي مما يساعد على تفهم التنوع القبلي والثقافي في السودان ويقلل من الصراعات والجهويات.

معالم ومشاهد من المجلد

أحياء المجلد في ذلك الوقت

الأحياء في المجلد كانت متقاربة وصغيرة نوعا ما أشبه بالتجمعات وغير مخططة ، ومفتوحة في بعضها ، فيمكن أن تدخل بيتاً وتدخل في عشرة بيوت أخرى عبر فتحات أو أبواب بين البيوت تسمى النفاج وكان وجود باب أو ممر بين الجيران يوضح أن العلاقة بين الجيران جيدة أما إذا قفل هذا الممر فهو مؤشر أن العلاقة بين البيتين ليست على ما يرام وهذا نادرا ما يحدث فالجميع كان يعيش في سلام ومحبة ، لكن مع الوقت بدأ الناس يبنون حوشاً من القش وكان ذلك هو الشائع أو من الطوب الأحمر ولا يستعملون الأسمنت بين الطوب وإنما يستعمل فقط للبياض لذا تجد كثيراً من الأسوار متهدمة نتيجة لكثرة الأمطار وأحيانا يستعملون الطوب الأخضر (طوب من الطين غير المحروق) ويبيضونه بالرمل المخلوط بزيت الماكنات الراجع، وهو أفضل في الأمطار الغزيرة وكانت معظم البيوت ليس لها أبواب خارجية ومن له باب يكون غير مستعمل فليس هناك حاجة له ولم أسمع بلص أو حالة سطو في البيوت . كان الانتماء للأحياء قويا نسبة لارتباطها بالفرق الرياضية أو سيطرة مجموعة قبيلة عليها ولم تكن هناك احتكاكات بين القبائل رغم احتفاظ كل قبيلة بكيانها...حي الجلابة كان يقع في المنطقة القريبة من السوق وحول مسجد المجلد الكبير في المنطقة الشرقية يبدأ من بيت بشير التجاني شمالا إلى لكوندة صدرين جنوبا ومن الشمال الشرقي حتى بيت عبد الله إبراهيم والجنوب الشرقي حتى منزل محمد مدني وكان يسكنه كل الناس من الشمال (الجزيرة، والشمالية، والنيل الأبيض) ومعظمهم من التجار. حي أولاد توبا وهو في الجهة الشرقية من المجلد جوار المعهد قديماً أو المدرسة المتوسطة في ذلك الوقت وفيه أسرة يشئنه محمد سالم وأحمد بانقا وماهل دليل وهو امتداد لحي الجلابة من الشرق. حي الجبارات وكان قرب غرفة (أوضة)

البنزين ومستشفى البرُ حاليا. حي فلاتة في الجهة الشمالية في المجلد وخلف حي النُظّار والمدرسة الغربية. حي النُظّار وهو يواجه المجلس وُدونكّي المياه في ذلك الوقت وفيه الشفخانة وعدد من المباني الحكومية. حي اركويت يقع في المنطقة بين حي عَرديبَةُ وحي النظار ومن الجهة الغربية يقع امتداد لحي أركويت وحي (السكة حديد) والمدارس ومن الجهة الجنوبية الغربية حي دفاع وحي دفاع كان في ذلك الوقت يعتبر من الأحياء التي فيها مجموعات من الشباب يمكن أن تعتدي على بعض الغرباء الذين يدخلون ذلك الحي كنوع من شيَطّنة وبلَطَجة الشباب ، يمتد حي دفاع جنوبا حتى زريبة البهائم وخلف الحدادين.. ما يميز المجلد أن معظم الناس في هذه الأحياء يتعارفون وتجدهم في السوق في مجموعات تحت شجر اللَبّخ في السوق و في جلسات وِديّة مع بعضهم أو في الحوانيت والمحال التجارية لبعض التجار وهم متحابون متآلقون وتجد أبناءهم في الميادين عصرا يلعبون الدَافْوري مما يعكس الحب الذي يتمتع به الكبار فينعكس على أبنائهم لعباً وصداقات مع الصغار.

وكان دكان بشير التجاني قبلة لتجمعات غالبا ما تكون لحل بعض المشاكِل وكثيراً ما كان الناظَّر علي نِمِر حاضراً وهو بكامل أناقته وكان رجلاً وسيماً أنيقاً، يرتدي جلباباً فاخراً ونظاره أنيقة وساعة عادة سيكو فايف ومركوباً من النمر أو جزمة إيطالية الصنع ومسدساً صغيراً في جيبه قد تراه من خلال جيب الجلباب يكمل أناقة وهيبة النظارة. وأذكر أن العلاقة بالمجموعات والقبائل والوافدين من الشمال كانت نموذجية حيث نجد أن الجلابة يدخلون في تحالفات مع المسيرية، ويدفعون الدية معهم ويحمونهم ويشاركونهم الأفراح والأتراح نحن كنا في حلف مع الكلابنة ، وكانوا يحترمون هذه العلاقة جداً، وأذكر أنهم قدموا بشير التجاني ليترشح في دائرة انتخابية ومثل المسيرية في ذلك الوقت وهذا يمثل قمة التسامح والتآلف بين مكونات المنطقة في ذلك الوقت. في المناسبات وأعياد الاستقلال وكل زيارات الرؤساء للمنطقة كانت تتقدم أسرة الناظر بابو وأحيانا يقدم الخطاب

عن أهل المجلد بشير التجاني وله في هذا طرائف، حيث إن هناك منطقة من ضواحي المجلد تسمى (جعبتين) وهو اسم المنطقة حتى الآن ويذكره الناس بصورة عادية لكن في أحد الخطابات أتى أهل تلك المنطقة للحاج بشير ليرفع مطالب معينة إلى الرئيس عن المنطقة في خطابه...فوجد الحاج بشير حرجاً أن يذكر الاسم هكذا في الخطاب وفي أثناء الخطاب بدلاً من أن يذكر اسم المنطقة ذكر نعامتين...وهي منطقة تشتهر بالنعام فخرج من الحرج وأصبح اسم المنطقة نعامتين لكن أهل المنطقة حتى الآن يفضلون الاسم القديم.

كذلك قدموا الأستاذ عبد الملك دعاك إماما لهم في المسجد ويدرس الفقه بصورة راتبة وخطيباً للجمعة ومختار البشير كان شاعراً أحيانا يرتجل الشعر للمناسبة في حينه. وهناك أحياء صغيرة في ذلك الوقت وكانت تعتبُر طَرفَيه ، حي عردية ويسكنه شيخ محمد طاهر وكان من الشيوخ المُشهود لهم في ذلك الوقت وكنا صغاراً يُرسِلوننا له لإحضار بخّرة أو محِاية أو حجاب في كل مناسبه طهور أو زواج وكنا نعتبرها مناسبة لنأخذ مبلغاً لإيجار عجلة (دراجة) غالبا من يحيى كرامة ، وحي عَردَيبة هو الحي الذي بنيت فيه مدرسة المجلد وكان الناس يعتبرونها منطقة بعيدة من وسط المدينة.

من مَعَالِم المجلد في ذلك الوقت أيضا منزل دينق بلايل وهو أحد التجار الذين عملوا بالجنوب ورحل إلى المجلد وهو من أعيان المنطقة والمسيرية يقال إنه سمي (دينق بلايل) لأن له إخوة قبله يموتون فسمي دينق وهو اسم جنوبي، فاختاروا له اسماً على غير المعتاد هذا حسب الرواية العامة التي سمعتها، وهو تقليد عند بعض القبائل إذا توفي للأسرة عدد من الأطفال يقولون إن هناك عين أو فأل سيء لذا يسمون المولود القادم باسم نشاذ ليوقفوا نذير الشؤم وهذا موجود عند الجعليين أيضاً وكان رجلاً حازماً وله مواقف، يحكى أنه انضم للجنة دعم المسجد وحددوا أن تطوف اللجنة على التجار لتجمع تبرعات لصيانة المسجد فذهبت اللجنة لكل تاجر في دكانه، ووقفوا عند أحد التجار وكان يرقد على

«العنقريب الهباب» أمام متجره ، وقف أفراد اللجنة ولم يُضيّفهم أو يطلب منهم الجلوس، وهو متكئ سألهم عن الأمر فوضحوا له الأمر وهو متكئ، فأخرج خمسة وعشرين قرشاً «طرادة» في ذلك الوقت وأعطاها لهم وهو في هيئة الاتكاء، فهذا الأمر استفز دينق بلايل ورفع بسطونته وانهال عليه ضرباً، محتجاً على اتكاءته وعدم احترامه للجنة، هذا حسب الرواية التي سمعتها. لكن عندما سمعتها لم أستبعدها، لأن دينق تاجر كبير، محترم وطريقته الحازمة تجعله لا يقبل مثل هذا التصرف من تاجر مثله في السُوق أن يعاملهم كأنهم (شحادين). وكان لدينق بلايل بيتان متجاوران بنيا بأحدث مواصفات تلك الفترة بأبواب كبيرة يمكن أن تدخل السيارات وبأخرة عرفنا أن البيتين كانا متطابقين لأن صاحبهما دينق بلايل كان له زوجتان فأراد العدل بذلك التطابق وكانا من أجمل المنازل وساهما في تجميل المدينة ، وأذّكُر ابنيه علي وبحر كنا نلعب معهما الدافوري في الميدان الكبير أمام المنزل وأذكر عندما زار الشيخ الترابي المجلد وكانت منطقة مقفولة لحزب الأمة برئاسة الصادق المهدي فحصل هرج ومظاهرة بعد خطابه حتى تدخل البوليس لفِض الفوضى فأدخُل الشيخ الترابي والوفد المرافق إلى بيت دينق بلايل لأنه كان قريباً من الميدان وكذلك لأنه بيت مؤهل ومؤمن وأذكر أن الشرطة قد أطلقت أعيرة نارية حية راح ضحيتها بنت التوم الشايقي وكانت واقفة خارج منزلهم تتفرج على الندوة، حدَث الهرج لأن المنطقة كانت مقفولة لحزب الأمة وأحدث حزب الجبهة القومية الإسلامية تقدماً في ذلك الوقت وفاز بالدائرة الأستاذ أحمد صالح صَلُوحة لأن حزب الأمة انقسم ونزل إثنان أو ثلاثة مرشحين من حزب واحد في الدائرة . كان الدينكا والجنوبيون يسكنون في الأحياء جوار بيوت بعض التجار الذين يعملون معهم ومجموعة قليلة منهم في منطقة خلف (السكة حديد) وكان كثير منهم يسكنون مع الأسر في مسكن خاص بهم قطية أو كرنك خلف المنزل وكانوا يسكنون مع أولادهم وكل أسرة لها أحد الجنوبيين وله ولاء خاص لتلك الأسرة، الوالد عبد الملك دعاك كان معه أطرش يسمى (ترِتِي) وقد نشأ معه وكان وفيا واعتبرناه أحد أفراد الأسرة. بشير التجاني كان معه رجل يدعى جاموس

يسكن هو وأسرته في البيت ويوسف الدقير كان معه (اللار) وكذلك كل الأسر لها شخص من الجنوب يعتني بأشيائهم ويسكن معهم كأحد أفراد الأسرة.

الجنوبيون كانوا يعتنون خاصة بالبقر حلبها ورعايتها حيث تجد كل أسرة لها عدد من الأبقار تحلب فقط لتكفي البيت وكان يعتبر بيع اللبن عيبا بينهم لذا تحرص كل أسرة أن يكون لها أبقار وأغنام . ومن المناظر التي لا أنساها هي فترة المساء أو قبل المغرب وعندما تأتي الأبقار من المرعى، كانت تأتي بطونها منتفخة وضرعها منتفخ باللبن ويحضرهم الراعي إلى الميدان وبعدها تذهب كل بقره إلى بيت صاحبها لوحدها مسرعة لملاقاة عجلها الصغير الذي عادة يترك في البيت وهو يشكل الضامن لرجوع البقرة بعدعودتها لأنه إذا قابلت البقرة صغيرها في الميدان أو الخلاء فإنها لا ترجع إلى البيت ويخرج صاحب البقرة للبحث عنها وغالبا ما يجدها في أحد الميادين مع وليدها في الصباح يخرج الناس أبقارهم للميدان ليأخذها الراعي إلى الخلاء ويحضرها مساء والراعي غالبا ما يمشي على رجليه ويأخذ الابقار لأطراف البلد حيث المرعى الوفير، كل حي كان له راعٍ وأذكر في فترة كان الأطرش ترتي يأخذ البقر ويرجع بها مساء. وكنت أستغرب كيف لأطرش أن يرعى البقر حيث السمع مهم في تلك المهنة. وكان ترتي الأطرش أيضا يحلب البقر وكنا نتحلق حوله ونستمتع بطريقته في حلب البقر وكنا أحيانا نتوسل إليه ليعطينا فرصة لنحلب مرة أو مرتين وكان لا يرضى بسهولة لأن في اعتقاده أن البقرة إذا تغير الذي يحلبها ترجع اللبن في ضرعها ويؤثر في كمية الحليب. أحيانا يأتي الراعي ومعه عجل حديث الولادة لإحدى البقرات ولدته في الخلاء وهذا يوم نحتفل به وبالعجل الجديد وكان الراعي يأتي حاملا العجل في كتفه رغم ثقل وزنه لأن العجل حديث الولادة لا يستطيع المشي لمسافة بعيدة وكان يترك اللبن في الثلاثة أيام الأولى للعجل وأحياناً يحلب ويسمي (اللبا) وهو لبن ثقيل عندما يترك في النار يتقطع ويكون لذيذا عندما يؤكل بالسكر.. وكنا نتحلق حول العجل الصغير طيلة الاسبوع الأول بعدها نالفه ونتركه.. اذكر أني ذات مرة وجدت عجلا صغيرا في بيت عمنا الأمين الدسوقي وهو حديث الولادة

فحاولت أن أمسكه من الرجل الخلفية وألاعبه وأنا جالس على الأرض فضربني العجل الصغير برجله ، كان عمره لا يتعدى ثلاثة أيام ولكنها كانت ضربة قوية تسببت في رعاف ونزيف من الأنف وقف بعد صعوبة واحمرت أنفي وبعدها أصبح لدي قابلية للرعاف لأقل ضربة واستمر هذا الحال لسنوات بعد ذلك.. أظنه كسر عظمة في أنفي وأخذ الأمر ببساطة.

وكنا ونحن صغار نربي الدجاج ، فقط لنلهو به ولا نرضى أن يأخذوا بيضة واحدة منه وكنا نترك البيض للدجاجة لتحضنه لكنه كان كثيرا لا يفقس من كثرة ما نأتي ونرفع الدجاجة من بيضها لنرى ما إذا فقس البيض أم لا ؟ قد نرفعها عشر مرات في اليوم لنرى ذلك ، فكنا صغارا لا نكاد ننتظرها لتفقس وإذا فقس عدد من البيض تهاجمه القطط ليلا وتأكل صغار الدجاج.

في فصل الخريف والزراعة أحيانا تدخل الأبقار والأغنام وتفسد الزرع ، أذكر أنه كانت هناك محكمة خاصة للبقر والحمير التي تدخل وتأكل الزراعة في الخلاء والمحكمة تقدر الضرر وعلى صاحب البقَّر أن يدفع. كان معظم الناس لا يعلفون البقر ويعتمدون على المراعي الطبيعية في الخلاء لكن بعض الناس يعلف الأبقار بالأُمبّاز بقايا (بذرة القطن) خاصة في الصيف. وكذلك كان هناك محكمة خاصة للدينكا في الشجرة أمام المحكمة...حيث يجلس أحد شيوخ الدينكا كان اسمه تور أبيض ويسمع الشكوى ويقرر فيها حسب أعرافهم وكان يعامله الدينكا باحترام وتقدير وكانت له كلمة يقولها كل ما قابلته ويدخلها في أي موضوع يقول (كل شيء بكانون) وكان يقصد كل شيء بقانون أي بنظام.

وبعض الناس لهم محكمتهم الخاصة للبهائم، فكانت هناك امرأة لها (جبراكة) في البيت وهي زرع صغير في البيت يكون من الباميه (الويكة) أو (التبش) العجور والعنكوليب (القصب الحلو)، وأحيانا تأتي أغنام الجيران لتأكل منها فتقبضها وتحجزها (ولها حفرة كبيرة أظنها تكونت بعد الانتهاء من بناء غرفة أو قطيه فتأخذ الماعز وتدخلها في الحفرة، وعندما يأتي صاحب الأغنام ليسأل عن الغنم

المفقودة يجب أن يعتذر ليسمح له باستلام الأغنام وأذكر أن تلك المرأة كانت قوية ومحبوبة من الجميع.

الوالد عبدالملك كانت له أبقار وعدد من الأغنام يعتني بها الأطرش ترِتي، وأذكر أن تلك الأغنام كانت من النوع الجيد اشتراها من أحد أقربائنا الذي رحل مع أسرته الى الخرطوم وكانت الواحدة منها تحلب مقدار ما تحلبه بقرة من أبقار تلك المنطقة وتلد في العام مرتين وفي كل مرة تلد ثلاثة توائم ، أظنها مثل أغنام السعانين التي تستجلب من تركيا الآن، وكان عددها أكثر من عشر أغنام ويوزع لبنها للأهل والجيران، وذات يوم تركها الأطرش ودخلت جبراكة إحدى النساء وأتت المرأة وشكت من الضرر الذي أحدثته تلك الأغنام فغضب الوالد وأخذها كلها إلى الجزارة وذبحت جميعا، فسألته لماذا لم تبعها ويستفاد منها ، فقال لي أنها عرفت أنها لي وإذا بعتها وأفسدت سيذكرني الناس بالسوء. فأظن لوضعه الحساس إماما بالمسجد وأستاذاً لم يرق له أن يتسبب في أذية الناس بأغنامه.

رغم أن الأبقار التي كان يربيها الناس في بيوتهم كانت تحلب بكميات معقولة تكفي الأهالي وتكفي حاجة أهل البيت لأنها كانت أبقار مستجلبة أو أبقاراً هجيناً ، من النيل الأبيض أذكر أنه كان هناك موظف يدعى دوليب كانت له أبقار أصيلة حلوب ويستجلبها من مناطق أخرى، لكن أبقار المسيرية نفسها لم تكن تحلب الكميات الكبيرة لأنها دائماً في حركة وتنتج ألباناً تكفي لعجولها التي يحرص المسيرية أن يتركوا اللبن لها لكي تستطيع أن تقاوم فترة الجفاف. لذا عندما قرر الرئيس إبراهيم عبود إقامة مصنع بابنوسة للألبان، كان يعتبر من أفشل المشاريع، لأن عشر أبقار من أبقار المسيرية لا تنتج ما تحلبه بقرة فرزيان (أوروبية) واحدة وكذلك ثقافة أهل المنطقة الذين يستهجنون بيع الألبان ويعتبرونه عيباً ، لذا لم يعمل المصنع كما خطط له لكن كان هناك بعض الرحل يبيعون الألبان وتأتي النساء بعد العصر وبأعداد كبيرة يحملن جرادل الحليب في رؤوسهن ويبعنه بأسعار زهيدة. وأنا في تلك الفترة كنت أكاد لا أشرب الماء، فننتظر النساء بعد

رجوعهن ونشتري منهن الحليب ونعكف على شربه دون إضافة سكر، حتى قال أحد أقربائي «يحب اللبن ثلاثة، صلاح والكديسة والفلاتة» وأنا حتى الآن لا أعرف هل الفلاتة يحبون اللبن أم لا لكن أنها أظنها ضرورة اقتضاها السجع.

وكان هناك لصوص يقصدون الأبقار الجيدة فأذكر أن أحد أقربائنا أحضر بقرة جيدة وكان يعتني بها عناية خاصة وكانت أكثر الابقار إنتاجاً ، في صباح يوم لم يجد البقرة ، فكان موضوعاً وأعلنت حالة الطوارئ في الأسرة، وتحرك أفراد من البوليس والشرطة، حتى وجدوا جلدها في سلخانة بابنوسة. فكان كل أسرة لها عدد من الأبقار يكون لها علامة وهي ماركة حديدية تسخن الحديدة في النار ويحرق بها جلد البقرة ، فتكون كل الأبقار مختومة بختم الأسرة. عادة ما يكون أول حرف أو الاسم كاملاً. فأحضر البوليس الجلد من بابنوسة معروضات وعليه ختم الأسرة ليؤكد انها له.

مسجد المجلد الكبير
ونشاطاته المتعددة

مسجد المجلد الكبير
ونشاطاته المتعددة

المجلد كانت لها معالم واضحة تميزها، أهمهما مسجد المجلد الكبير، والمجلس وكان يشمل البوليس والسجن وبيوت الموظفين وكذلك المدرسة الجنوبية ، البندر والمدرسة الغربية والمعهد العلمي الذي تغير إلى المدرسة المتوسطة في ذلك الوقت والسكك الحديدية والشفخانة والبيطري، بيوت النظار (بيت الناظر بابو).

مسجد المجلد كان شيئاً فريداً فهو المكان الذي نلجأ إليه بعد المغرب للصلاة وحضور درس أو تلاوة وكانت الكهرباء الوحيدة في ذلك الوقت في المسجد...القرآن مع الشيخ القوني والدرس قد يكون مع أي زائر من العلماء وأذكر من الزائرين الذين يأتون بانتظام شيخ الطاهر الأمي وكان يدرس ذخيرة الفقه الكبرى ، ومن دروس المقيمين في المجلد كان درس الشيخ جعفر دقاش منتظماً والشيخ عبد الملك دعاك بصورة راتبة وأذكر بعد أن أكملنا المرحلة المتوسطة كنا قد أكملنا العشماوي والعقباوي والرسالة وهي كتب الفقه الأساسية، وكان يتناوب على صلاة الجمعة الشيخ حمدون والشيخ عبد الملك دعاك وفي بعض المناسبات الشيخ بشير التجاني، الشيخ حمدون كان رجلاً لا يتكلم كثيراً يلبس نظارة مقعرة ثقيلة وهو الرجل الذي عرفنا منه الاعتكاف في رمضان حيث كان يعتكف في رمضان بصورة راتبة وكنت أُلاحظ الطهر والروحانية التي تحيط به ....

فكي القوني : شيخ حمدون استلم المسجد إماماً للجمعة بعد وفاة فكي جبريل القوني الذي كان من أبرز رموز مجتمع المسيرية ، وصفة قوني تعنى أنه حافظ

ومجود للقرآن الكريم وحاصل الدرجات على العلاُ (ما يعادل الدكتوراه في علوم القرآن والدين) وكان مفتياً عاما وكذلك مفتياً في محكمة المسيرية الرئيسية في المجلد برئاسة الناظر بابو نمر ، كان عالماً ورعاً تقياً ، وكان أمام وخطيب مسجد المجلد الجامع العتيق، له أسرة طيبة من البنين والبنات تولى ابنه الأمير النذير جبريل القوني إمارة قبيلة الزيود (مسيرية حمر ،فلايتة) .

المساجد لم تكن كثيرة كانت هناك زاوية فلاتة التجانية وبها شيخ عِليو (وهو شيخ التجانية فرع التربية) وأيضاً شيخ يا ولي وشيخ حسن أبكر ولم يكن هناك مشاحنات أو صدامات بين الطرق الصوفية لكن كانت هناك حساسية تجاه الوهابية وكانوا كثيراً ما يشتبكون معهم بسبب سبهم الشيوخ أو الطرق الصوفية وكانوا يعرفون الوهابية من بداية الخطاب في المسجد حيث يذكرون اسم الصحابة مجرداً والرسول (صلى الله عليه وسلم) دون أن يذكروا (سيدنا) مما يثير حفيظة المتصوفة.

مسجد المجلد كان بناية صغيرة لكنه متين يشبه المباني الحكومية القديمة. تحيط به رواكيب من الجهة الغربية كانت باردة في النهار تفتح فيها خلوة في الاجازة يدرس فيها فكي القوني...

تمت توسعة المسجد عدة مرات بسور واسع ليس مرتفعاً، ثم بنيت أجنحة وأضيفت غرفة لمولِدِ الكهرباء في الجهة الشمالية الشرقية...لم تكن هناك دورات مياه بالمسجد فكان الناس يذهبون إلى البيوت القريبة من المسجد، بيت بشير التجاني وود الفكي وأحياناً في الأسوار القريبة للمسجد، جوار المسجد من الجهة الشمالية كانت هناك أرض غير مسكونه للنذير القوني يذهب الناس إليها لقضاء الحاجة وكانت أيضاً موقفاً للحمير والثيران والجمال خاصة يوم الخميس، عندما نجدها مكتظة بالحمير والثيران نعرف أنها نهاية الأسبوع واليوم يوم السوق. .فكنا كثيراً في المجلد ما ننسي أيام الأسبوع ، فالأيام متشابهة في المجلد ..

الأذان في المجلد كان يشكل محور الحياة، بداية اليوم ونهايته.. فالأذان في دينقا كان يشبه ساعة (بق بن) يسمعه كل الناس نسبة لهدوء المنطقة وكان صوت يوسف محمد القرآن هو الأشهر في صلاة الصبح وشيخ القوني في صلاة الظهر والعصر والمغرب وفي صلاة العشاء كثيراً ما يؤذن يوسف القرآن وأحياناً في صلاة العشاء يؤذن الشيخ أحمد إمام بصوت مميز كان يبدأ الأذان بطريقته الخاصة يقول تالياً الآية الكريمة (ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين) وكان هناك مؤذنون آخرون منهم حسين القرآن الملاحظ أن المسجد لم يكن له مؤذن ثابت، فهو عمل يقوم الناس به تطوعاً، رغم أن شيخ القوني هو المؤذن المعتمد ويوسف القرآن من المؤذنين الملتزمين خاصة في صلاة الصبح قد توفي في السنين القليلة السابقة ، حسب قوله إنه حضر المجلد في العام ١٩٠٦م وكان شخصية معروفة حيث أول فرن فتح في المجلد فتحه هو، يوسف القرآن كان رجلا بسيطا عرف بالتقوى، وحسب روايته أنه خلال ستين عاماً لم يؤذن شخص للصبح غيره إلا أن يكون مريضاً وكانت له طرائف، يقال إن في آخر أيامه ضعف بصره وكانت هناك قطة تمشي أمامه تدله على الطريق للمسجد. وأقف أنا متأملاً رجلاً لم يغب عن صلاة الصبح ستين عاماً متواصلة إلا أن يكون مريضا وهناك من لم يستطع أن يواصل سته أيام متتابعة ، يقال إنه توفي عن مائة وعشرين عاماً وكان بصحة جيدة من بركة ملازمته المسجد والأذان.

فكي إسحاق القوني كان رجلاً تبدو عليه آثار الصلاح كثيراً ما يذهب إليه الناس (للخيرة) أو الاستخارة في الزواج ونجاح الأولاد وكانت رؤيته دائماً خيراً وهو هادئ قصير القامة له لحية بيضاء وصوته كان منخفضاً جداً في الأذان والصلاة. وما يميزه أنه عندما يجد بعض المفقودات بعد

الصلاة ينبه في الميكروفون (أيها المصلون من فقد شيئاً فليتصل بالجامع).. وكان يقولها بصوت مميز ينتبه له معظم الناس في المجلد.. وغالباً ما تكون المفقودات مسبحة أو عصا أو أحياناً ساعة نسيها أحد المصلين بعد الوضوء.

ولمحورية الأذان في حياة الناس كان بعض الشباب والصبيان يحبون أن يؤذنوا وتجد الناس يستحسنون ذلك ويعرفون من الصوت هذا ابن فلان وكان أيضاً ذلك مؤشراً على أن الصبي قد تربي على علوم الدين والصلاة وهو يسير في الاتجاه الصحيح.. في رمضان كان يؤذن الشيخ عبد الملك لقرب بيته من المسجد، فيؤذن ويسرع ليدرك الإفطار بعد أن يكون قد أكل ثلاث بلحات يأخذها معه إلى المسجد.

كانت هناك تلاوة راتبة في المسجد تعلم التجويد والقراءة الصحيحة كان يشرف عليها عدد من المواطنين والملتزمين من الشباب وكانت تلاوة تعليمية يرتادها عدد من الناس في أعمار مختلفة آدم أبكر، فكي حسن أبكر ، وابكر دودو وأبو حريرة وسمبو ومن الذين يواظبون وينتظمون في التلاوة أيضاً ، كباشي بشير وأبناء موسى البيطري والطيب عبد الرحمن وأولاد عبد الرحمن قرقج وظهر في فترة تالية الأستاذ جلال الدين موسى جلال الذي علمنا أصول التجويد وجند عدداً من الشباب للحركة الإسلامية في ذلك الوقت ومجموعة من الشباب من مسجد المجلد وكان يختار أحد بيوت الشباب للاجتماع وكان غالبا بيت عبدالرحمن قرقج أو بيت موسى البطري وكان الاجتماع يذكرنا أيام الإسلام الاولى لما يحيطه من سريه لأن النميري في ذلك الوقت يمنع التجمعات والاجتماعات، الاجتماع معظمه كان في التجويد وتدارس أمور الدين، أيضاً كانت هناك جريدة حائطية تكتب في كثير من المواضيع كان ينظمها ويشرف عليها شباب المسجد منهم الطيب عبد الرحمن الآن اختصاصي تخدير وأستاذ جامعي وصالح عبد الرحمن قرقج وأخوه أحمد عبدالرحمن قرقج وسليم وسلام عوض سلام طبيب صيدلي وكان وزيراً بولاية غرب كردفان وأنا كنت أصغرهم سناً أحب أن أجالسهم هم كانوا في المرحلة الثانوية وأنا كنت في المرحلة الابتدائية وكنت ألاحظ أن البعض يتضايق من وجود ولد معهم يعتبرونه صغيراً بينهم لكن كان بعضهم يحاول أن يلطف الجو، خاصة أني كنت أشرف على مكتبة الوالد وأجلب الكتب الإسلامية

لذا كانت لي علاقة مميزه معهم كشباب وقبلوا أن بينهم رغم صغر سني.

مما جعلهم يقبلوني بينهم رغم فارق السن وأعمل مع الشباب الذين يحررون تلك الجريدة، من الطرائف أنه ذات مرة طلبوا من كل واحد منا ان يكتب موضوعاً للجريدة فأنا أحببت أن أشارك وذهبت للوالد ليكتب موضوعاً وهو كان إماماً للمسجد وأيضاً أستاذاً للتربية الإسلامية واللغة العربية بمدرسة المجلد الثانوية.. فكتب موضوعاً في ورقتين فلسكاب وبخط يده الذي كان جميلاً جداً...فأخذت المقال وزينته بصورته ووضع في الجريدة.. بعدها أمر النميري في ذلك الوقت باعتقال كل الإخوان المسلمين فأرسلوا للوالد واعتقلوه بأنه قائد مجموعة الشباب الإسلاميين وقائد عملية تخريبية في المجلد.وعندما أتى الأمر للبوليس في المجلد باعتقال الإخوان المسلمين كانوا يبحثون عن أي شخص مناسب تنفيذاً للأوامر، فبحثوا عن شخص له علاقة بالشباب وحركتهم فوجدوا المقال في الجريدة. فكان الأنسب أن يعتقلوا الأستاذ عبد الملك، بدلاً من أن يعتقلوا الأطفال والشباب الصغار فأخذ إلى سجن بابنوسة أياماً وأطلق سراحه وصدر قرار تحويله إلى الأبيض لكن كان الأستاذ وزير الثقافة الحالي، محمد يوسف الدقير مديراً لمكتب الفاتح بشارة في الأبيض فتدخل وأطلق سراحه وأذكر أن بابنوسة أرسلت صولاً للتفتيش، ففتش الكتب ووجد كتاب المأثورات لحسن البنا وأخذه دليلاً على اتهامه.

شركة شيفرون الأمريكية في المجلد

شركة شيفرون الأمريكية في المجلد

دخول شركة شيفرون كان حدثاً كبيراً في المنطقة والسودان قاطبة، عندما كانت الترتيبات الأولية لدخول الشركة كان الوالد يدرس في مدرسة أبو زبد بعد أن قضى فترته الأولى في المجلد وكانت أبو زبد وقتها من المدارس المعروفة في كردفان ... بعد انتهاء فترة أبوزبد عزم الوالد على الذهاب بالأسرة للخرطوم وإلى الدامر حيث انتهى من بناية بيته في الدامر بمنطقة الشعديناب ، في تلك الفترة دخل جدي لأمي بشير التجاني في اتفاقية لتقديم خدمات لشركة شيفرون فيكون متعهداً وكان الموضوع كبيراً ويحتاج إلى شخص يديره فأرسل للوالد أن يرجع إلى المجلد. فنفذ الوالد ذلك المشروع وهو توفير المواد التموينية والغذائية لكل الأجانب في الشركة وكان معظمهم من الكينيين وجهزوا لهم مبانيَّ كبيرة أشبه بالعنابر الضخمة وأحضروا الطباخين ليجهزوا الأكل والوجبات في شكل أشبه بالطلبة في الداخلية وهذا ما استهوى الوالد ونظم الموضوع وخطط له بطريقة تشبه ما كان يفعله لطلبة الداخلية بالمدرسة وكان مشروعاً ناجحاً وتوسع المشروع وكانت هناك طائرة مخصصة للأغذية تسافر للمناطق حول المجلد أبو جابرة وبانتيو أكثر من مرة في الأسبوع أظن أن الشركة المسئولة من الغذاء اسمها اختصاراً (OSI) أوسأى وأنا لم أعرف ماذا يعني هذا الاختصار فكان هذا المشروع سبباً أن نرجع الى المجلد بإصرار جدي وكذلك الوالد شعر أن وجوده مُهم لهذا المشروع وأنه بإعتباره أستاذاً يمكن أن يدير المشروع بدقه وتفاصيل والوالد كان يعتز بكونه أستاذاً ومعلماً أكثر من كونه تاجراً ، رغم أنه كان يحب التجارة لكن كان يفضل أن لا يدخل السوق بنفسه حيث إنه أراد أن يحافظ على شخصية المعلم والأستاذ، فكان يحب أن يعطي أمواله لأشخاص يثق بهم ليتاجروا بها...

الأستاذ عبدالملك كان هميماً وعملياً جداً وأنا كثيراً ما أشفق عليه لاهتمامه

الزائد بالأشياء وأذكر أن شركة شيفرون جمعت كمية من الفحم لتوزعه بعربات (فيات وهي ترلة مقطورة) كان يملكها سيد الشايقي (الله يرحمه) في بابنوسة ، أذكر أن شركة شيفرون تعاقدت معه للنقل، وفي ذلك اليوم جمعت كمية من الفحم أكثر من الفي جوال في أرض أمام المنزل لكن يظهر أن أحد الجوالات كانت به جمرة أو جمع الفحم قبل أن ينطفئ تماماً، فاشتعلت النار في الجوالات واستيقظ الناس منتصف الليل وكانت النار قد احمرت في منظر مخيف ، فاستيقظ عبدالملك على صوت الناس وحركتهم وعندما رأى النار حمل زير المياه وكان كبيراً جداً ومليئاً بالمياه ورماه في النار وبجهد الحضور انطفأت النار لكن بعد فترة شعر الوالد بألمٍ في البطن وكان فتاكاً وأجريت له عملية إثر ذلك.

شركة شيفرون كانت كما ذكرت حدثاً وجلبت التكنولوجيا للمجلد، فأذكر ذات مرة تمت دعوة عدد من الخواجات وكانوا كباراً وصغاراً ونساءً في عشاء في بيت جدي لأمي بشير التجاني وكان يظهر على تلك المجموعة أنها لا تشبه الخواجات والطبقة العمالية الذين نعرفهم في شركة شيفرون.. فكانت تبدوا عليهم آثار الأرستقراطية من طريقة لبسهم ويظهر أنهم أسرة واحدة وكانت معهم كاميرات فيديو كبيرة لم أر مثلها إلا مستقبلاً في التلفزيون. بعد العشاء وفي اليوم التالي ذهبت المجموعة إلى بئر أبو جابرة وكان هو يوم ظهور الإنتاج في تلك البئر حيث إن البئر تدفق منها البترول بضغط عالٍ وسال في الأرض بطريقة اعتبرته الشركة حدثاً وحضرت أسر ملاك الشركة وإدارتها العليا لمشاهدة هذا الحدث... مدير الشركة اسمه قوردون (قردون) ومعه خواجة آخر اسمه عبد السلام أسترالي الجنسية كان مشهوراً ومسلماً وكان يأتي أحياناً ليتناول إفطار رمضان مع الناس في المجلد وكان له أصحاب كثر في المجلد، لم تخلو تلك الفترة من الأحداث المؤلمة أذكر حدثاً أننا كنا في مدرسة البندر الابتدائية وفي الصف الثالث بينما كنا في الفصل فإذا بنا نسمع صوتاً داوياً كأنه القنبلة وبعد فترة تجمع الناس حول مركز الشرطة والمستشفى وتجمع عدد كبير من أهل المجلد فكان هناك حادث مات

فيه ثلاثة أشخاص بصورة بشعة ، منهم من قطعت يده ورجله، حيث حاول هؤلاء العمال لحام عجل حديد الكنور الكبير (عجل الجرافة) وهو ملئ بالهواء نتيجة لشق في عجل الحديد، فانفجر الإطار وطار الشنبر فقتل بعضهم وقطع أعضاء بعض ...فكانت فترة مليئة بالحوادث وسمعنا أيضاً أن أحد سائقي الكراكات كان يقطع الأشجار لفتح الطرق (لاين) وابتعد من المعسكر وأثناء قطعه للأشجار ضرب شجرة بها كمية من النحل، فهاجمه النحل بطريقة كثيفة وكان يجري ويصرخ لكن كانت المسافة بعيدة فقتله النحل بعد أن تورم جسده.

وأذكر أيضاً أن هناك منطقة بالمجلد تسمى الوادي وهي جنوب المجلد تجري فيها المياه بسرعة وكميات كبيرة من المياه تجري هذه المياه لتنتهي في حفر صغيرة غرب المجلد. فقرر أحد الخواجات أن يرسل كمية من براميل الوقود والزيت إلى المنطقة الجنوبية فوجد هذا الوادي مسرعاً وبه كمية من المياه فقرر أن يدخل بالكنور (البطاح) الى الوادي وبه كمية البراميل مربوطة بإحكام وكان يعتبره خوراً صغيراً ، فدخل الوادي ، وعند خروجه من الجهة الأخرى ، خرج وظهره خالٍ من البراميل فقد طفت كل البراميل في الماء رغم ثقلها من كثرة المياه وسرعتها ، فكان هذا الوادي رغم مياهه الكثيرة التي تهدر لكن في الصيف تعاني المدينة من العطش. عرفت مؤخراً أنه أنشئ خزان مياه في تلك المنطقة وهو من المشاريع الناجحة . خاصة أن المنطقة تعاني من العطش في الصيف وهناك كمية من البهائم تحتاج للمياه وكانت مياه الوادي مهدرة أظن أن الخزان أدى لاستقرار المنطقة وإنتاج الأسماك للمنطقة.

وأذكر أننا التقينا بأحد السودانيين كان قد أدخل العربة (الكتور) - وهو ما يسمى اللودر وإنقلبت العربة في الوادي - وانزعج السائق لهذا الحادث وأتى وبلغ الإدارة في المجلد ، وتوقع أن الإدارة ستحاسبه على هذا الحادث لكن ما حصل هو العكس ، حيث أخذ الخواجات كاميراتهم وذهبوا لمكان الحادث يصورون العربة وهي مقلوبة في الماء ، واعتبروه حدثاً خارقاً ، وأخيراً عرفت أن

الشركة المصنعة لهذا النوع من السيارات كانت قد نشرت دعاية وأعلنت أن هذا النوع من السيارات لا يمكن أن ينقلب وأنه محصن ضد الانقلابات ، لهذا أرسلوا الصور للشركة المصنعة ، وبدل أن يحاسب السائق تم تكريم السائق بهذه الصورة الاحتفالية .

شركة شيفرون أدخلت نمطاً جديداً للإدارة حيث كان هناك تنظيم وترتيب وتم توظيف معظم شباب المنطقة للعمل بالشركة وأصبح معظم الشباب يسوق إحدى سيارات الشركة فأصبحت السيارات الصغيرة (لاند كروزر تاتشر) عادية وتعود الناس على شكل الإدارة الحازم من الخواجات، فأذكر أني ذات مرة ذهبت مع الوالد إلى الشركة فإذا هناك عدد من العمال يجلسون تحت الشجر في وقت الظهيرة في ونسة فخرج المدير ووجد هذا المنظر فلم يعجبه ،وهو يتكلم مع الوالد مزق كمية من الورق ورماها على الأرض وتناثر الورق من كثرة الهواء، فنادى المدير على العمال تحت الشجرة وبدأوا يسرعون في كل جانب يجمعون الورق المتناثر ودخل المدير مكتبه، فالموضوع كان مقصوداً أن يجعلهم يتحركون ويعملون بدل أن يكونوا في مجموعات وأكوام تحت الشجر. هذا النمط الجديد من الإدارة تعود عليه الناس والانضباط وكانت هناك صافرة تضرب في وقت الراحة ومواعيد الأكل ونهاية فسحة الفطور وبداية العمل أشبه بصافرة القطار يسمعها كل سكان المجلد ، رغم كل التطور والحداثة التي أدخلتها الشركة في سكناتها ومنشآتها لكن لم تكن هناك خطة ممنهجة لتنمية المدينة فلم تقم الشركة ببناء مستشفى للمجلد حتى أتت منظمة البر وقامت بإنشاء مستشفى البر في المجلد وهو بتمويل خليجي، وكذلك لم تقم بصيانة المدارس ، رغم أن مدرسة المجلد الثانوية بنيت في فترة نشاط الشركة لكنها لم تساهم في بنائها، فالمسؤولية الاجتماعية لم تكن منفذة بصورة ترضي مواطن المنطقة في ذلك الوقت. نشاط الشركة أزعج سكون الطبيعة والحياة البرية ومسارات الحيوانات البرية صيفا وشتاء وأثر في كمية الصيد الذي يأتي للمنطقة وتم إبادة كمية مساحات كبيرة من

الغطاء النباتي لفتح الطرق في الغابات (لاين) ويتحدث الناس أن بعض الحيوانات النادرة تم اصطيادها حية وأخذها بصورة أو بأخرى، النعام والزراف وحتى أنواع من النحل البري تم أخذه في مواسير كبيرة تم مسحها من الداخل بعسل النحل وعندما تجمع النحل بداخلها قفلت من الجانبين وأخذت بالطائرات.

استمرت شركة شيفرون لأكثر من عشر سنوات وتزايد أمل الناس أن يروا البترول يتدفق لكن يبدو أن قرار إنتاج البترول وإضافة بلد بترولي جديد للمنطقة كان شيئاً يتحكم فيه عدد من الدول النفطية الأخرى والدول الإمبريالية العظمى مما جعل شركة شيفرون تدور في حلقه مفرغة لسنوات حتى جاءت ثورة الإنقاذ وأنهت مشروع شيفرون وولت الأمر لشركات وطنية مثل كونكورب وبعدها دخلت الشركات الصينية.

مدرسة المجلد الثانوية

(عرديبه)

مدرسة المجلد الثانوية (عرديبه)

لم تكن بالمجلد مدرسة ثانوية حتى العام ١٩٨٣م كان طلبة الثانوية يرسلون إلى الفولة والدلنج وكادقلي والأبيض وأحياناً الخرطوم لذا افتتاح مدرسة ثانوية في المجلد كان حلماً راود أهل المجلد كثيراً بنيت في منطقة تعتبر بعيدة نسبياً في ذلك الوقت من مركز المدينة مما سبب كثيراً من الإشكالات في تلك الفترة ، وعند بدايتها تم اختيار نخبة من الأساتذة المتميزين ليعملوا بها من أبناء المنطقة وخارجها، أرسلت عاصمة المديرية في ذلك الوقت كادقلي الأستاذ رزيقات من جبال النوبة وكان مديراً أنيقاً، أتى للوالد في البيت بسيارة (امجليلي) وهي نوع من اللاند كروزر موديل السبعينيات، كان يعتبر الأفخم في ذلك الوقت وأذكر أنه كان يلبس كرافتة وبدلة ومهندم بطريقة ما كنا نألفها في المجلد فكان يعطيك شكل المدير الحازم.. فتح رزيقات المدرسة وحضر في عهده عدد من الأساتذة المصريين منهم أستاذ مراد وأستاذ منير وغادر الاستاذ رزيقات المدرسة بعد حدوث بعض التوترات نتيجة لنقص في المعلمين وتعثر البدايات . بعده ابتعثت الوزارة من السفارة البريطانية اثنين من الإنجليز أندرو وإيميلي أذكر أن إيميلي كانت إنجليزية في العشرينيات من عمرها ذات ملامح دقيقة عيون صغيرة وأنف صغير ووجه صغير كانت تذكرني بلعب الأطفال كانت لا تحمل كاميرا، كانت تحمل لوحاً للرسم وترسم كل ما تمر به بصورة لا تقل عن دقة الكاميرا إملي رسمت الناس والنساء يركبن الثور ورسمت أفراد الأسرة في منزلنا وأشياء ، أندرو كان شابا نحيلا أشقر ، كان يحاول أن يعرف كل ما يدور حوله وتستفزه جمهرة الأطفال والمارة حوله لينظروا الى شكله ولونه الغريب بالنسبة لأهل المنطقة. كان يزورنا كثيراً في المنزل مما جعلنا نتحدث الإنجليزية في وقت مبكر. وهو أيضاً تعلم العربية بالتبادل ، أذكر أنه ذات مرة أتى إلى البيت وقد حلق لحيته وفي وجهه جرح من آثار الحلاقة فسألته ما هذا؟ فبدأ يجيبني بحركة

توحي بالحلاقة (قلت له هذه معناها حلق) ومسك جزءاً من خده وقال لي ما هذا ؟ قلت له هذا الجلد، وأشار إلى بشيء يشبه القطع فقلت له هذه (قطع) فبعدها أجاب على سؤالي (أنا حلقت وقطعت الجلد) بعربية مكسرة جدا وكان يقصد أنه حلق وجرح نفسه. فقد كنا نتحدث معه يتعلم العربية وفي نفس الوقت نحن نسأله عن الإنجليزية أذكر ذات مرة سألني أندرو أين تريد أن تدرس الجامعة ؟ فقلت له بإنجليزية مكسرة (في جامعة أوكسفورد) فكررتها ثلاثاً وفي الثالثة أدرك أني أقصد جامعة أوكسفورد، هو لم يستوعب كلامي ليس لعيب في النطق فقط بل هو لم يكن يتوقع أن طفلاً في العاشرة من عمره في هذه المنطقة البعيدة يعرف ويتحدث عن أوكسفورد ... مرت الأيام ورجع أندرو وكتب خطاباً أرسله للوالد وفيه عنوانه وقال للوالد إذا ابنك صلاح أراد أن يقرأ في بريطانيا فبيتنا مفتوح له.. قدر الله أن أذهب إلى لندن لكورس قصير فسألت عنه وشربنا القهوة سوياً وتحدثنا عن المجلد وسط دهشتي ودهشته وهو أن الطفل الصغير الذي قابله في المجلد الآن معه في منطقة قريبة من أوكسفورد ملحوظة (أظن أن أندرو جاء إلى السودان في نفس الفترة التي درس فيها سفير بريطانيا الحالي بالسودان حيث درس بالشمالية) .

بعد ذلك أتى إلى مدرسة المجلد الأستاذ يوسف ماكن وكان من أساتذة التاريخ المتميزين لكن شابت فترته بعض الفوضى نتيجة لنقص المعلمين وتحريض من البعض قد يكون ذا طابع سياسي في ذلك الوقت وكذلك قلة الدعم للداخلية، فخرج الطلبة في مظاهرات وتعرض الأستاذ يوسف للاعتداء من بعض الطلبة فقام لحمايته الأستاذ أزهري بابكر وهو أستاذ اللغة الإنجليزية من مدرسة أم روابة فاعتدوا عليه أيضاً فخرج الأستاذ يوسف من مكتبه وسط تظاهرة الطلبة وذهب إلى بيته رغم الفوضى والمظاهرات لم يخف أو يتراجع فاعتدوا عليه بالضرب حتى وقع مغشياً عليه وحمله الأستاذ أزهري إلى المستشفى وبعدها ركب الطلاب جميعاً في لوارٍ وذهبوا لكادقلي في مظاهرة احتجاجية في عاصمة الإقليم في ذلك الوقت ولم تستجب لهم السلطات فتم قفل المدرسة ووزع طلابها إلى مدارس الأبيض وكادقلي ، وكذلك

الوالد الأستاذ عبد الملك تم الاعتداء عليه من أحد الطلاب أيضاً عندما كان الطالب غائباً لفترة طويلة ومنعه أن يدخل الامتحان فضربه على وجهه حتى كاد أن يفقأ عينه وكان اعتداء أدانه كل أهل البلد ومكتب التعليم وفصل الطالب على إثره وخرج الوضع عن السيطرة وتم قفل المدرسة لفترة طويلة... وأذكر أيضاً الأستاذ بدر العِالم كان يُدرِّسِ الأحياء وكذلك الأستاذ تمبول وأستاذ اللغة الفرنسية لم أتذكر اسمه (أذكر أنه من أقرباء د. منصور خالد السياسي المعروف).

كانت مدرسة المجلد فتحاً كبيراً للآباء ، إن أبناءهم سيدرسون أمام أعينهم ومع أهلهم لكن الطلاب لم يحتفوا بها كما ينبغي حيث شعروا أن المدرسة منعتهم متعة السفر للدراسة في مدن كبيرة مثل الأبيض وكادقلي وبعضهم في الخرطوم وكعادة كل الطلاب يريدون أن يستكشفوا بيئة جديدة فكان دخول المرحلة الثانوية فرصة للخروج إلى مدن أخرى، افتتاح المدرسة منعهم من ذلك...فكانت الشكوى كثيرة وحدثت احتكاكات مع المعلمين. رجوعاً لموضوع الأساتذة الإنجليز والمصريين في المجلد كان الأطفال يتعجبون من الخواجة ولونه وكانوا أيضاً يحسبون المصري خواجة ، فكان يتجمع الأطفال خلف الخواجة ويهتفون (خواجة خواجة، ويمشون وراءه) وكان هو يحاول أن يطردهم ويجري وراءهم بصورة عشوائية وهستيرية من كثرتهم فيبدوا كأنه مجنون...فكان كثيراً ما يأتي ويشتكي من (السيرة والموكب) التي تبدأ صغيرة من الأحياء قرب المدرسة وتكبر عندما يدخل السوق وكان يسوق عجلة أحياناً فيعيقون مسيرته. رغم وجود شركة شيفرون في المجلد والأمريكان لكن شيفرون كان بها قليل من العمال والموظفين البيض فمعظم العمال كانوا زنوجاً أمريكان ويوغنديين وكينيين لذا لم يتعود العامة على شكل الخواجة الأبيض العدد القليل من البيض في شيفرون كانوا يبقون في مكاتبهم ولا يأتون للأسواق كثيراً....وأظن أن المجلد من المناطق التي كان يعاني فيها الرجل الأبيض من العنصرية عكس المعتاد، أن الأبيض يضطهد الأسود، لكن هناك كان الرجل الأبيض أو من يكون لونه فاتحاً عرضة للمضايقات.

معالم سياحية والصيد

معالم سياحية والصيد

من المعالم شجرة التبلدية أم قور وما يحكى من أساطير حولها ويحذرنا الأهل أن لا نقترب منها بعد صلاة المغرب وبوطة دودو والوزين والستيب والحاجز والوادي وأوضة البنزين بركة (بوطة) فلاتة ومقابر الشيخ أبو شرا.

كانت معالم سياحية وأسطورية أحياناً، الدونكي الأخضر كان يمثل قلب المجلد النابض، حيث بصوته الذي يكسر الهدوء الذي يخيم على البلد (تكتك، تكتك، تكتك) وأحياناً تسمع صوت لوري دخل البلد من مسافة بعيدة خاصة إذا ركب له (كوز) إمعاناً في زيادة الصوت، أو صوت بوري لوري بأصوات متعددة (كما كان يفعل ود النعمة)، وأحيانا يكسر الهدوء صوت أحدهم وهو ينهر ماعزاً (تك) أرادت أن تأكل منه شيئاً أو صوت شخص ينهر حماراً يريده أن يسرع (عر) وكان الدونكي الأخضر يعتبر من المناطق البعيدة رغم قربه، حيث يتجمع عدد كبير من القمري وتجد عدداً من الصبية ينصبون الشراك حول المياه المتسربة من الدونكي وعندما (يقبض الشرك) كلهم يريدون أن يأخذوا تلك القمرية وربما تشاجروا حتى تحسم المسألة للأقوى. كان الصيد شيئاً شائعاً فأذكر أن الوالد ومعه عمنا أحمد إبراهيم حسب الله كانا يذهبان للصيد في منطقة الشراب (بتشديد الراء) ويحضرون كمية كبيرة من جداد الوادي والغزلان وأذكر أني ذات مرة استيقظت منتصف الليل على صوت لوري يدخل البيت فتم إنزال ما يقارب جوالاً كامل مليئاً بدجاج الوادي وأكثر من عشر غزلان كبيرة غير مسلوخة الجلد علقت وسلخت وسهروا حتى الصباح يأكلون شواء طازج وكبدة الغزلان وكان يوما غريبا لأننا عودنا أن يحضر لحم الغزلان بعد سلخه لكن ذلك اليوم أحضروه كاملاً وسلخوه أمام أعيننا وكان دائماً مع دخول أي لوري نتوقع لحم غزال أو دجاج الوادي وكان شيئاً عادياً.

وكان السكان في المناطق البعيدة في لحر العرب وبحر الغزال أيضاً يصطادون

حيوانات أخرى مثل النمور والزراف والفيلة كلها من الحيوانات التي يصطادها البعض خاصة أهلنا المسيرية هواية وقد تجد لحم الزراف أو الغزلان المجفف (الشرموط) في سوق الخميس. لكن بعض الناس يحذرنا من اللحوم المجففة في السوق فبعضهم يقول إنها ربما لحيوانات اخرى (أبو انضلاف) وهو آكل النمل حيوان متوسط الحجم أو ربما لحم حلوف وهو نوع من الخنزير البري. والصيد كان يعتبره البعض هواية وأيضا هو دليل على الرجولة والفروسية خاصة عند اصطياد الحيوانات الكبيرة ،مثل الفيل والزراف والجاموس خاصة أنهم يستعملون السلاح الأبيض (الطبيقة والحربة) ويذهبون في مجموعات وتكون عملية فيها مطاردة وقد يفقد بعض الناس أرواحهم لكن مؤخرا بدأ الناس يستعملون السلاح الناري فأصبح الصيد أقل خطورة وصيد الفيلة كان من الأشياء اللتي يذهب لها الفرسان وقد يحتاج لأكثر من ثلاثين إلى خمسين رجلاً من الرجال الأشداء هذا قبل أن تعمل البنادق الحديثة بكثافة في الصيد ، فيذهب الرجال وينقسمون إلى قسمين ، مجموعة أمام الفيل تركب على الخيل وبعضهم راجلاً ومجموعة خلف الفيل بنفس العدد فعندما يرى الفيل المجموعة الأمامية يسير خلفها ليطاردها ويشتبك معها فتسير أمامه بسرعة وكذلك يسرع الفيل للحاق بهم ، في هذه الأثناء المجموعة الخلفية تطعن الفيل بصورة متواصلة من الخلف بحراب كبيرة تسمى (الطبيقة) والفيل مشغول بمطاردة المجموعة الأمامية وعندما يكثر الطعن يحس الفيل أن هناك مجموعة من الخلف فيستدير الفيل ليطارد المجموعة التي كانت خلفه فتهرب أمامه المجموعة وتبدأ المجموعة التي كانت أمامه تطعنه من الخلف ويستمر الحال هكذا حتى يقضى على الفيل وهذه العملية قد تستمر لساعات طويلة وقد يموت فيها بعض الفرسان ، خاصة إذا تعثر أحدهم أو دخلوا في وحل وطين فيلحق بهم الفيل المكلوم ، فصيد الفيل عموما كان يحوي كثيراً من المخاطر وقد يموت كثير من الرجال ، ويعتبر شيئاً من الفروسية وكذلك صيد الأسد (الدود) والنمر قبل دخول الأسلحة النارية الحديثة .

الصيد العادي للغزلان والطيور كان يحوي مخاطر أيضا ، وكانوا يستعملون له

بنادق الخرطوش والرصاص العادي ليس أوتوماتيكياً ، أذكر ذات مرة ذهبنا إلى الصيد وكنا صغاراً نرافق الكبار فبحثوا في الخلاء في منطقة الشراب عن غزلان فلم يجدوها فقرروا الرجوع بعد منتصف الليل ، وفي طريقهم الى المدينة قابلتهم غزالة متوسطة الحجم فنشن أحدهم أظنه أحمد إبراهيم وأطلق النار على الغزالة فأصابها ، فنزل مساعد العربة مسرعاً ليذبحها (يحللها) لكن عندما اقترب من الغزال وشعر به قفز الغزال مسرعاً فحاول المساعد الإمساك به ، في هذه الأثناء تفاجأ بطلقة أخرى ، أثارت الغبار من حوله ووقع المساعد على الأرض وبجانبه الغزالة جثة هامدة وكنا في العربة نشاهد هذا المنظر ، فالانطباع عند كل من في السيارة أن المساعد أصيب لكن بحمد الله نهض المساعد ولم يصبه شيء فهو سقط من هول المفاجأة وصوت الطلقة الأخرى .

كان العم عبدالقادر التجاني شقيق جدنا بشير التجاني يأتي أحياناً في زيارات من دبي إلى المجلد وكانوا يحتفون بزياراته كثيراً ، فكان ضمن برنامج زيارته أن يذهب الى الصيد ، فذات مرة أخذ بندقية صغيرة تسمى المورست ، لها طلقات صغيرة كطلقات المسدس الصغير ، فذهب إلى المزارع حول المجلد وللمفاجأة أنه كان يستعمل المورس بكفاءة عالية واصطاد عدد من القمري والطيور الصغيرة - فكانت مفاجأة لنا أن يستعمل المورس ويصطادبه هذه الطيور الصغيرة .

كما ذكرت أن العم عبدالقادر الطيب كان يأتي في رحل موسمية للمجلد للصيد وكان يصطاد عدداً من الغزلان لكن ما شدني هو طريقة صيده للحبارى فكان إذا وجد للحبارى على الأرض يهشه ليطير وعندما يفرد جناحيه الكبيرين يصطاده في الهواء فيسقط بصورة كانت ممتعة وتتم عن مهارة في الصيد ، العم عبد القادر من القلائل الذين وجدتهم مولعين بهواية الصيد وكان بارعاً في استعمال كل أنواع البنادق .

أذكر أني نظرت إلى صورة زواج الوالد فكان يرتدي مركوب نمر وكان يعد من أرقى الملبوسات في ذلك الوقت فسألته عن المركوب فعرفت أن جلد المركوب كان لنمر صادوه في منطقة الشراب جنوب المجلد وكان هو وأحمد إبراهيم الذي عرف بحبه للصيد قد ذهبا لاصطياد الغزلان فوجدا هذا النمر

المرقط ومن جلده صنعوا أكثر من ثمانية مراكيب وزعت على أصحابهم.

في أحد الأيام أتى لوري محمل بالصمغ ومجموعة من الأشياء وبطيخ من الميرم وبيض نعام كامل، فأخذ أحد إخوتي في البيت ذلك البيض ووضعه في المخزن وكانت الأرضية من الرمل، في اليوم التالي لاحظ أن البيضة بها ثقب وخرج منها شيء يشبه المنقار فتأكد أن بالبيضة فرخ نعام ، فوضع البيضة وفي اليوم التالي وجد فرخ نعام تحت السرير يأكل ما تبقى من قشر البيض، فكان موضوعاً لنا جميعاً نحن الأطفال وبدأنا نحضر له الصمغ والأشياء وكبر فأصبح مزعجا يأكل كل شيء وأحيانا يدخل المطبخ ويخطف كل ما بالصينية من خضار وأكواب أو فناجين وبصل فضاق به من في البيت ذرعاً وفي يوم ذهبنا إلى المدرسة عندما حضرنا لم نجده، أظن أن الأهل أعطوه لشخص ما.

أحد أفراد الأسرة الكبيرة أحضر جرو كلب وكانت هي المرة الأولى التي يحضرون فيها كلباً لتربيته بالمنزل فاحتفلنا به وكنا نسقيه اللبن بكثافة وعندما مكث أياماً أصبح شرهاً ويأكل كل شيء لكنه كان جروا صغيراً وفي يوم من الأيام حضر أحد بائعي الحطب اسمه حميدان له زرع شرق غرفة البنزين (أوضة البنزين) حضر بحماره يحمل حطبا وعندما اقترب الحمار من الجرو تحرك الحمار بصورة مزعجة (جفل) فتعجب صاحب الحمار ونظر للجرو وعندما دخل على جدتي لأمي الحاجة آسيا قال لها (ده شنو الجبتوه ده؟) فقالت له (ده كلب جابوه الأولاد ديل يلعبوا بيه) ، فقال ليها لها (ده ما كلب ، ده جنا مرفعين ، والله تخلوه يكبر ياكلكو كلكو) بلهجته الدارجة ، فكانت المفاجأة أن أحد السائقين وجد الجرو في الخلاء وظنه لكلب لكنه كان جرو ذئب وفي ولحظتها اتفقت مع الرجل أن يأخذه فوراً ولم نر الجرو بعد ذلك اليوم.

ذات مرة أحضرت أرنباً أليفاً «النوع الأبيض» واجتهدت في إحضاره من الأبيض في كرتونه بعناية بالغة مكثفه أحضرت الأرنب إلى البيت وعند وصولي أخرجت الأرنب من الصندوق وأنا فرح به، وأنا لم أدرك أن في البيت كان هناك كلب اسمه تايقر، تركته إحدى قريباتي كانت ربته وأخذناه نحن نعتني به بعد أن

سافرت هي الى السعودية ، ونحن صغار فعندما رأى ذلك الكلب الأرنب، انتفض وحصل نوع من المطاردة في البيت بين الكلب والأرنب بصورة عنيفة تكسر على إثرها كثير من الأشياء، والأواني، وأصائص الزهور وانتهت بقتل الأرنب ولم يهدأ الحال حتى قضى الكلب على الأرنب وأنا ومن في البيت في ذهول.

من الأشياء الجميلة في الصيد في المجلد ، كانت هناك وحدة بوليس من الخفراء (حرس الصيد)، تعمل على متابعة الصيد الجائر ، وتحدد موسم الصيد ، وتمنع إصطياد الحيوانات النادره الآيله إلى الانقراض ، وتمنع الصيد في مواسم معينة خاصة موسم تزاوج الطيور والحيوانات وهم يعلمون موسم تزاوج كل نوع على حده . ويصادرون جلود الحيوانات الممنوعة والعاج وريش النعام إذا تم الاصطياد دون تصديق ، فأذكر أن أحد القضاة حكى عن نفسه حضر إلى المجلد في بداية السبعنيات وهو قاضى صغير حكى لنا قصته مع أحد بوليس حرس الصيد ، حيث ذهب القاضى إلى بركة فيها مياه داخل المجلد تسمى بركة دودو (بوطة دودو) في يوم ماطر وهو مغطى بالبشكير من المطر وكان يصطاد الوزين ، فضرب عدد من الطلق الناري وقتل عدد من الوزين ، فسمعه أحد أفراد حرس الصيد ، فأتى وقبض على القاضي وهو ((ملثم)) بالبشكير ، فتسأل الحرس لماذا منعتنى فقال له الحرس هذا الموسم موسم تزاوج الوزيين وممنوع الصيد ، وأصر أن يأخذ القاضي إلى المحكمة وهو لا يعلم أن الذي يتحدث معه هو القاضي نفسه والقاضي لا يعلم أن الصيد في هذا الشهر ممنوع ((وهنا بدأ يتعلم القاضي من رجل بسيط غير متعلم لكنه يعرف عمله)). فقال القاضي ترجيت الحارس وتوسلت له ليتركني واعتذرت له دون أن أوضح له أنني أنا القاضي المسؤل ومن المفترض أن أكون عالم بالقانون .هذا يوضح نزاهة ومتابعة أفراد البوليس لهذا النشاط في تلك البلاد البعيدة ، القاضي الآن وصل أي درجات رفيعة في القضاة – وهو يحكى هذه القصة كطرفة قديمة حصلت له ، أن يلقى القبض عليه من أحد جنوده في المنطقة .

فصل الخريف في المجلد

سيمفونية الخريف

فصل الخريف في المجلد
سيمفونية الخريف

فصل الخريف كان شيئاً رائعاً، يبدأ الرشاش في بداية شهر مايو ويبدأ المزارعون بتنظيف الأرض من الحشائش وحرق الحشائش (الحش) ويزرعون الأرض مع بداية أول أمطار في نهاية الصيف (الرميل) ويبدأ الخريف الثقيل بأمطار شبه يومية ورعد وبرق شديدين في شهر يوليو حتى نهاية سبتمبر وتكون الأرض مليئة بالحشائش في كل مكان البيت والشارع والسوق والمسجد والمدرسة حشائش في كل مكان، ومعظم أنواعها (الكول والضريسا والعوير والحسكنيت) وكان الناس يتركونها. حول الأسوار وتجد الحشائش في الطرقات إلا طريق الأقدام والمنطقة التي يمشي فيها الناس أو منطقة مرور السيارات حيث يكون هناك خطان على طول الطريق للسيارات أو عربات الكارو.. كانت هناك برك من المياه في مناطق كثيرة اعتدنا عليها ولا ننظر إليها على أنها مياه آسنة أو مياه مجاري. فكانت تكون راكضه لكنها نقية وغير متغيرة الرائحة كما في المدن، وبنهاية الخريف يكون الليل عبارة عن سيمفونية بين الضفادع وحشرات أخرى (سيمفونية الخريف) وكنا نسأل عن ماذا تعني هذه الأصوات المزعجة أحيانا ! فيقول لنا الكبار إنه تسبيح وعبادة هذه الضفادع والحشرات فنتأدب ونكف عن السؤال، وصوت البعوض بكثافة أيضا فكأنما هي أوركسترا بين الآلات الكبيرة الضفاضع والكلاب أحيانا والآلات الصغيرة ، البعوض وحشرات آخرى ويزيد على ذلك صوت الرعد والأمطار حيث يكون الصوت عنيفا خاصة إذا كانت الغرفة معروشة بالزنك وصوت الرياح يكمل السمفونية لتكون معزوفة كاملة قل أن تجد مثلها. وكانت هناك حشرات تلسع البقر لذا تجد أصحاب من بعد صلاة المغرب يحرقون روث الأبقار مع قليل من الحشائش التي تكون مخضرة لم تيبس

أو تنشف بعد فيكون لها رائحة مميزة كرائحة البطاطس أو الأسود المحروق ورغم كثافة الأدخنة لم أسمع بشخص عنده الحساسية أو ضيق في التنفس من تلك الأدخنة. ويكون الخريف مهرجاناً لأنواع من الحشرات (السمين) وهو حشرة غير مؤذية تظهر بعد الأمطار كأنها في طور تكوين حشرة أخرى وحصان إبليس وهو حشرة ذات أجنحة شفافة ولها جسم رفيع وطويل وحشرة أخرى ملونة وجميلة تسمى ود المطرة لها جسم يشبه القطيفة وناعمة وذات لون أحمر قاني وحشرة أخرى تخرج رائحة كريهة لونها أخضر تسمى العفين والحرباء كانت بكثرة وخاصة في المدرسة حيث نشاهدها بكل الألوان حسب المنطقة التي نجدها فيها ويكون شكلها مخيفاً عندما نجدها في الأرض السوداء فتتغير لونها إلى اللون الأسود وعيونها حمراء..وأظن أن تشريح الضفادع والجراد كان من أسهل العلوم لنا في المدرسة لأننا كنا نرى الضفادع بكل الأطوار (أبو ذنيبه) في كل المياه والجراد كذلك وكنا نحتفل ونلهو عندما تظهر حشرة مضيئة تسمى الجوهرة وتطير في الهواء بألوان وأنوار مختلفة وكنا نجمعها بكمية ونكفئ عليها كوباً ونتركها تتلألأ..من الأشياء المزعجة كان ظهور دودة كبيرة سوداء عليها نقاط حمراء تكثر في شجر الهجليج (اللالوب) تسمى (دود ماني) لا أعرف الاسم العلمي لها وكانت تظهر لمدة أسبوع أو عشرة أيام وتختفي أظن أنها يرقة لحشرة أخرى وكنت لا أحب أن أراها ولا آكل أو أشرب كثيرا في تلك الأيام اللتي تظهر فيها تلك الدودة وهي أيام قليلة لا تتعدى الاسبوع حيث أتقزز منها. كانت هناك طيور كثيرة لها علاقة بالخريف مثل طيور الرهو الأبيض التي تكثر بكثافة في الأشجار ومع الأبقار وتكثر في أشجار التبلدي والنيم وتكون الطيور بكثافة ومزعجة في وقت الغروب عندما تعود لصغارها إلا أن منظرها وهي أسراب تعود لأعشاشها منظر رائع جداً لا أظن أن نجده في منطقة اخرى، وكذلك السنبر الأسود الذي يفضل أن يسكن ويبني أعشاشه في شجر التبلدي وأسراب من الوزين تأتي تتهادى وتطير بطريقة جميلة وقد يحدد لك بعض الناس أن هذه ستنزل في بوطة دودو أو بوطة فلاتة أو بوطة الوزين وربما أخذ أحدهم خرطوشه وركب

عجلته وذهب يتتبعها ليصطاد منها ونادراً ما نرى حبارى وعندما تأتي حبارى طائرة يكون حدثا وكأنها ضلت طريقها...هذه الهجرة الطبيعية للطيور تصاحبها هجرة الأبقار التي تأتي لمنطقة القوز (الظعن) أو السير وتكون كل الأبقار في المناطق حول بابنوسة والمجلد وتعتبر حركة الأبقار متسقة ومتناسقة مع حركة كل الحيوانات والطيور فهي حركة غريزية لكن بعض الناس يظن أن البقارة هم الذين يسوقون الأبقار شمالاً وجنوباً لكن الحقيقة أن الأبقار هي التي تسوقهم حسب حركة الأمطار والرياح فهي حركة طبيعية لذا عندما تحدث السياسيون عن فصل الجنوب ومنطقة بحر العرب وأبيي لم يعلموا أن الأبقار لا يمكن أن تمنع فهي لها مسارات طبيعية منذ الآف السنين أصبحت مبرمجة في جيناتها لا يستطيع أحد أن يمنعها إذا تركت ستذهب لوحدها وتعود كما حركة الليل والنهار والشتاء والصيف.

هناك مزارع متفرقة وكذلك مزارع صغيرة حول البيوت (الجبراكة) وهي زراعة صغيرة فيها الويكة (الضرابة) والتبش (الفقوس) وعيش الريف (الذرة الشامية) واللوبيا والعنكوليب والدخن (الفريك) وعيش الماريق وهذه المزارع الصغيرة بقلتها تكفي أهلها وخلف المنزل قد تجد عدداً من الماعز وأحيانا يكون معها ابقار وتقوم بعض النساء ببيع اللبن وصناعة الروب ومنتجات الألبان، السمن والفرصة فكان الناس شبه مكتفين وقرارهم في أيديهم وعندما رُفِع شِعار من لا يملك قوته لا يملك قراره، تذكرت أن أهلنا في تلك الفترة كانوا مكتفين تماماً، فعندما تجد امرأة عجوزاً تسكن في قطية أو كرنك وهي بناية بسيطة وخلف هذه القطية أو الكرنك تكون لها جبراكة ، فيها كل الخيرات ، العيش، والبقوليات وكذلك الفول لإنتاج الزيت والفول المسحون «المظلوط» وفي الأمام لها بقرة وعدد من الأغنام وتحلب اللبن وتنتج منتجات الألبان وتبيعها وتشتري ما تحتاجه من السوق من شاي وسكر وأغراض أخرى. وهذه العجوز تنتج وتبيع العيش الريف والفول المغلي (المركب) تكون هذه المرأة مكتفية تماماً ويتحقق معنى الاكتفاء الذاتي في هذه الوحدة الصغيرة وأحياناً نجد هذه المرأة تعمل في المباني

«طلبة» أو تنظف المحاصيل في السوق وهي تعيش حياة كريمة وعندما تغلق باب بيتها مساءً لا أحد يستطيع الدخول إليها فيقولون «عجوز سدت بيتها» وهي مكتفية تماماً. وتأتي النساء يوم الخميس ومعهن إنتاجهم من الألبان وصناعاتهن اليدوية والدجاج والبيض ونهاية اليوم يشترين الكماليات فقط، السكر والشاي والبن...وتكون فترة شهري أكتوبر ونوفمبر هي فترة (الدرت) موسم الحصاد كما يسمونه وفيها تباع منتجات (الجباريك) المزارع الصغيرة الملحقة بالبيوت وإنتاج الخريف من الغابات، والستيب وامديكة ، والقضيم واللالوب والكرناكة والسيرني (وهو خليط من ثمرة اللالوب والكرناكه) والتبلدي و(العفوص) أوراق التبلدي الصغيرة البراعم تخلط مع الدكوة والليمون والشطة وهي أكله جميلة ومغذية والقونقليس يخلط مع الشطة والملح ويكثر الروب في السوق فتنتج نساء الفلاتة عجينة تسمي (القدوقدو) وهي من أجمل الأكلات خاصة عندما يخلط بالطحنية ، وأيضاً تصنع بنات فلاتة الصغيرات حلاوة (مندؤوسة) وهي خليط من السكر المحروق والفول السوداني وخيرات الخريف كثيرة لا تعد...وبعد فترة (الدرت) تبدأ فترة الحصاد الكبيرة مع بداية الشتاء وتتحول المجلد لسوق محصول كبير، الفول والكركدي والسمسم تجعل المجلد أشبه بالبورصة يستفيد منها كل الناس وتأتي المحاصيل من كل الضواحي إلى الأبيض...وأشهرها سوق الميرم والتبون.. بعد الحصاد الذي يستمر طيلة فترة الشتاء الذي لا يكون فيه برد يذكر لكن غبار وهواء مستمر يأتي فيه البرد في شكل موجات وأكثر ما يميز هذه الفترة كميات البطيخ الذي يحضره التجار في شحن على اللواري من الميرم وينزلونه تحت الأشجار في شكل أكوام وكنا كثيراً ما نشتري البطيخة ونكسرها جوار كوم البطيخ ونأكلها بأيدينا، ورغم وجود السكين لكن يفضل الناس أن يكسروها بضربها على الأرض (بعض الناس يعتقد أن المكسورة طعمها أحلى) وبعدها يشربون الماء من القحفة ويكون ذا طعم جميل..وبطيخ الميرم حتى الآن هو أجود وأحلى بطيخ أكلناه، أحيانا تجد فيه شيئاً يشبه السكر..وتجد صاحب البطيخ يلتحف ببطانية أو فردة وينام جوار البطيخ حيث كان الأمن والأمان ولا

أحد يخشى على نفسه..ونتيجة لهواء الشتاء الجاف تجد كل الأطفال وجوههم مشققة مغطاة بقشرة (غبشاء) وكانوا يستعلمون الجلسرين وأحياناً الفازلين للتخفيف من آثار الشتاء.

في الخريف كانت تكثر الرحل إلى المناطق القريبة وخاصة التجمعات المائية (الوزين) وبوطة دودو وكجيرة فكان يذهب الناس وخاصة الشباب في يوم الجمعة ويذبحون الخراف وهناك البهائم رخيصة فيذبحون أكثر من خروف وكانوا يشوونه بصورة لم أرها إلا في المجلد فكان الوالد وعدد من الأساتذة يذهبون فيحفرون حفرة على الأرض مستطيلة ويشعلون فيها النار ويضعون قطع اللحم الكبيرة الأكتاف والأرجل وينصبونها في أعواد يحدون نهايتها فتكون حادة وتدخل في قطعة اللحم ويرصونها هذه القطع حول النار الملتهبة فيشوى على اللهب ولفترة طويلة أكثر من ساعتين لثلاث ساعات تسمى (المنصاص) وخلالها يكون الشباب في تجمعات يلعبون الكتشينة (الورق) أو الليدو وبعضهم يلعب الكرة ومنهم من يحمل بندقيته للصيد وأذكر من هذه الرحل رحلة ذهب فيها معنا أساتذة مصريون وإنجليز والتقطوا صوراً حتى الآن أحتفظ ببعضها ويذهب الناس إلى هذه الرحل يوم الجمعة ويحرصون على صلاة الجمعة في المدينة والرجوع مرة أخرى أويصلونها في أقرب قرية ، وكانوا يشعرون بأمان تام لا يخافون إلا الله والذئب في تلك المناطق.

ويأتي الصيف وترجع الأبقار والطيور ويجف الزرع والضرع ، وتدخل المجلد في نوبات عطش حيث يتقاسم الماء الموجود الإنسان والحيوان وتظهر صفوف من الحمير تصطف حول الدونكي ويبيع البعض الماء لكن معظم البيوت لها حمار وخرج ومؤخراً ظهر الكارو والبرميل الموظفون كان يأتيهم تانكر مياه إلى بيوتهم ليملأ تانكر (فنطاز) كبير بالبيت وخاصة بعد ظهور شركة شيفرون لذا نجد البيت الذي يستقبل المياه بالتانكر به ثقب على الحائط لإدخال خرطوم المياه. وترتفع درجة الحرارة فتجعل معظم الناس يلتزم الرواكيب الكبيرة حيث لا توجد مراوح

أو مكيفات لكن تعتبر المجلد باردة مقارنة بالمدن الأخرى ، رغم كآبة الصيف لكن كان المساء والليل جميلين والسماء أصفى من أي بلد زرته والقمر أكبر حجما وأكثر صفاء في ذلك الوقت..وفي الأيام المظلمة قد ترى كمية من النجوم قد لا تراها في منطقة أخرى ، كنا نسهر ونذاكر ونسمي النجوم في السماء التي ندرسها في حصة العلوم في المدرسة (العقرب وبنات نعش والعنقريب والدب الأكبر والأصغر والمجرات ودرب التبانة) فكان الصيف جميلاً خاصة عندما يخرج الناس الأسّرة في الفسحات الكبيرة وينامون في الخارج لا تظلهم إلا السماء، وإذا قدر لك أن تصحو في منتصف الليل ونظرت إلى السماء قد تصاب برهبة وتشعر بهيبة الخالق ستشعر أن السماء أقرب وكأنها ملتهبة من كثرة النجوم.

الحرائق في فصل الصيف كانت تأتي على عدد كبير من البيوت أو أحيانا حياً أو فريقاً كاملاً ... وأنا ممتحن للشهادة المتوسطة فينهاية الثمانيناتفي المجلد اشتعلت نيران بدأت من خلف المدرسة الغربية وانتشرت في حي فلاتة وأركويت ووصلت لبعض بيوت (السكة حديد) وأظن أنه قد ساعد على انتشارها تقارب البيوت وعدم المساحة التي تفصل بينهم وكانت كل البيوت من القش وقطاطي متقاربة وبعض الناس تحدث عن دور الحمام في نقل النار والحريق لأن بعض البيوت كان بها أقفاص حمام، فتشتعل النار في الحمام ويطير من بيت لآخر بالإضافة لفعل الرياح وأظنها وقفت في (السكة حديد) لان خط السكة حديد عمل خط نار ومنع النار من الانتقال، وكانت الحرائق شيئاً عادياً في الصيف لكن ذلك الحريق في العام ثمانية وثمانين كان كبيراً وتضرر منه عدد من الأسر.. وما زاد الأمر تعقيداً هو عدم وجود قوات مطافئ وكذلك نقص الماء في الصيف وأذكر أنه بعد الحريق ذهبنا فرأينا بيوتاً لا محدودة صارت رماداً وأحيانا تجد حماراً حرق بالكامل لأنه كان مربوطا ولم يستطع الفرار أو عدداً من الأغنام متفحمة في زريبة ، فكانت الحرائق واحدةمن الإشكالات التي تعاني منها المنطقة ورغم أن بيوت القش القطاطي والكرانك كانت تعتبر مشكلة في الحريق لكنها كانت

الأنسب للأمطار وباردة في الصيف وكانت مباني جميلة وغير مكلفة وجيدة التهوية خاصة أن المنطقة ليس فيها كهرباء ولا مراوح أو مكيفات وكان بعض الناس يهتم بالقطية ويزينها ويركب لها خيمة من الداخل فتجعلها جميلة وواسعة وتشعر بنفسك كأنك في منتجع أو رحلة مستمرة خاصة وحولك الخضرة والمياه.

من البيوت التي كان بها قفص أو راكوبة حمام مشهورة هو بيت بريمة حمودة، حيث كان به راكوبة بها عدد كبير من الصفائح المعلقة أو الصناديق التي يسكن بها الحمام، وكان يعتني به اعتناء خاصاً ويقال إنه يسقي الحمام السكر لكي يتكاثر عدده ولا يغادر المنزل، بريمة حمودة كان من أغنياء البلد في ذلك الوقت ويهتم بالتفاصيل ويحكى أنه كانت له مروحة كبيرة في دكانه يجرها الأطفال كما يفعل الملوك، ويأتي الأطفال ليلعبوا بها، ومن يجرها لفترة يعطى قرشاً أو قرشين وكان رجلاً محبوباً يذكره الناس بالخير.

الحركة التجارية
وسوق المجلد

الحركة التجارية وسوق المجلد

التجارة في المجلد كانت منتعشة جداً خاصة أن خط السكك الحديدية المتجه إلى الجنوب كان يمر بالمجلد فكانت تجارة الجنوب تتحرك من المجلد فكان هناك نشاط حيوي وكان هناك تنظيم للسوق بين تجار الجملة والقطاعي وأعتقد أن التجارة رغم وعورة الطرق وبعد المسافات إلا أنها متصلة مع المنطقة في محيطها وخارجه مثل الأبيض والخرطوم وغرب السودان بل وحتى خارج السودان .

السوق كان عامراً خاصة في يوم الخميس، ولا أنسى السوق وهو مفروش بالدرنقل وأنت تمشي تشعر وكأنك في مساحه لا محدودة مفروشة بالبساط من بداية السوق عند دكان ضحوي حتى المبنى الكبير لطاحونة مهجورة بها ماكنات كبيرة أظنها لعبد السلام المحبوب، والنساء يأتين راكبات الثيران وعدد لا محدود من الحمير وقليل من الجمال يحملن الروب والسمن وإنتاج الخريف، أمديكة والستيب والكركر والقضيم وجريوات القنقليس واب ليلة والعنكولييب وكان للعيش الريف المغلي طعم خاص لم أجده في أي مكان حتى الآن والفول المغلي ويسمونه المركب واللالوب والنبق وأشياء تحدثك عن خيرات تلك البلد الجملية...وشيئاً آخر كنت أذكر عندما نذهب البركة أو «للبوطة» نجد نوارة الستيب البيضاء الجميلة ونفصلها عقداً بتلك النوارة الجميلة (عقد اللولي) وعندما تذبل تفتح تلك النوارة لتجد شيئاً يشبه السمسمَ نأكله ويخرج شيئا يشبه الزيت، وتشعر بسعادة عجيبة وأنت ترى أسراباً من الوزين أو دجاج الوادي تحط في تلك البركة ورجلاً في الجانب الآخر يصوب بندقية الخرطوش إيطالية الصنع أو ربما صنعت في رواكيب بروكلي (دق أب ضرته) نوع من البنادق تصنع محلياً في المجلد في منطقة الحدادين ، وهي كانت فعالة ويقولون إن ضربتها قاتلة أكثر من

الخرطوش العادي لكن أظنها غير آمنه لأن الماسورة أحياناً قد تنفجر بعد طول الاستعمال خاصة عندما تكون الطلقة (مقلوبة) وهي طريقة يتم بها تفريغ طلقة الخرطوش وبها حوالي مائة حبة رصاص في حجم حبة العيش الماريق أو العدسية ويتم رمي كل ثلاث حبات في طوة ساخنة فتذوب الثلاث حبات لتكون حبة واحدة بحجم أكبر وتعبأ الحبوب في طلقة الخرطوش مرة أخرى وتكون ثلاثين حبة وهذا ليزيد فعاليتها ويصطاد بها الحيوانات الكبيرة مثل التيتل والغزلان الكبيرة وأحيانا الزراف والفيل.

كان بشير التجاني وبريمة حمودة من التجار الذين لهم علاقات ووكالات مع شركة الصمغ العربي لذا في فترة الدرت أو الحصاد نجد هناك تجمعات في المخازن ، هناك نساء كثر عجائز تتقدمهن الحاجة ميمة وهن ينظفن صمغ الطلح في حوش كبير وكنت أحضر بعد المدرسة ومعي عدد من الطلاب لنبحث عن كعكول من الصمغ الهشاب أو الطلح... وصوت آدم كور وأخيه ود كور يملأ المكان أظن آدم كور كان شيخ العتالة وهو أيضاً أحد قيادات الدينكا وهو من أبيي وكان مسلماً ويرتدي الجلباب الأبيض العربي والعمامة وعثمان على قاجرة وحاج محمد وهم يحملون العربة تلو الأخرى بكميات من الصمغ ما كنا ندري أنها تمثل العمود الفقري لاقتصاد السودان... وتأتي لوارٍ محملة بالبطيخ من الميرم لتصل إلى الأبيض وبطيخ الميرم كان من أفضل أنواع البطيخ وعندما تلمسه تشعر أن السكر في يدك أو قد تلصق أصابعك ببعضها...وكنا في الابتدائي وأتى سؤال في الامتحان ما هي أكثر دولة إنتاجاً للبطيخ في العالم ؟ (فكتب أحد الطلبة) الميرم فكان معه حق هذا ما رآه وجربه.

سوق المجلد كان داعماً لكل المنطقة الريفية من حوله وكذلك داعماً للجنوب ومنطقة أبيي ، وأذكر أنه في ذلك الوقت لم تكن هناك بنوك لكن التجار يتعاملون بالدين مع التجار الصغار من الريف والمناطق خارج المجلد الميرم وأبو بطيخ والتبون وغيرها ولم يكن هناك ضامن غير الثقة المتوفرة بينهم ولم يكتبوا شيكات

لبعضهم ولم نسمع بأن أحداً عجز مالياً أو لم يدفع المبالغ واضطروا أن يدخلوه السجن .

كانت الغرفة التجارية فاعلة وتحل كل هذه المشاكل بالتراضي بينهم بشير التجاني، يوسف الدقير والأمين الدسوقي وعبد الرحمن عبد القادر ...وإبراهيم الخليفة والكتيابي ومحمد مدني ويوسف دودو وعبد الله إبراهيم ومحمد عيسى وحسن علي والأسيوطي وصالح الحلو وأحمد بانقا وأحمد أبو شعير وعيسى صالح والتوم الشايقي وآدم ومختار البشير وخير الله ود الفكي وعلي شمو ودفع الله وعبد الله أبو حريبة وموسى خضار وحمزة وأبا يزيد.. وشخصيات اقترنت بذاكرة الطفولة...محمد علي بشير...ومجيل وعبدالصادق والشيخ الشبكة والنذير جبريل القوني ويحيى كرامة وسرو وآدم جبريل وآدم كرة وأخوه ناصر كرة الذي كان يعمل في شركة شيفرون مسئولاً من حركة الطيران في ذلك الوقت لذلك كثير من سكان المجلد كانوا يسافرون بطائرة شيفرون حيث هو يعمل على التنسيق لذلك وكذلك أحمد أبو الحسن كان تاجراً بالسوق ويوسف عبد الله كل هذه الشخصيات وشخصيات أخرى كثيرة كانت تكُوّن النسيج الاجتماعي للمجلد وحركة التجارة وبعضهم له أعمال تجارية كبيرة والبعض أعماله صغيرة لكن كانوا ينظرون لبعض بعين الرضا والاحترام وكان أكثر ما يميزهم هو اهتمامهم بالعمل العام والتعليم وكذلك السياسي فلم يكونوا يعرفون أنفسهم بأنهم تجار فقط فقد كانت لهم إسهاماتهم الأخرى.

سوق المجلد كان شاملاً ويحوي كثيراً من احتياجات الناس وتجار الجملة والقطاعي والقهاوي والحلاقين وسوق الخضار والجزارة وإيجار العجلات وبيع الأدوات والبوتيكات وكان أيضاً هناك صيانة وصناعات صغيرة كانت هناك شخصيات اقترنت بالصناعة، مثل صباح النور وهو يصلح كل الأواني وأظنه المحل الوحيد الذي كان يصنع أواني القهوة (الجبنة والشرغرق) ويستعمل لحام قصدير وعثمان روثمان كان الميكانيكي المعتمد ، عمل بشركة شيفرون مساعداً

ميكانيكياً مع مهندس من شركة شيفرون لكن سريعاً ما أصبح الميكانيكي الرئيسي بعد أن فشل أحد المهندسين في صيانة سيارة مدير الشركة (سيارة أمريكية) تمت ترقيته وأصبح الميكانيكي الرئيسي لشركة شيفرون وهو من الشخصيات الظريفة وخميس الطبيب ومحمد طبيب كانا يعملان في البناء بالأسمنت والطوب الأحمر وعلى قنقو كان يحفر دورات المياه ويعمل في البناء بالجالوص وكذلك أبو سيجارة وخميس الطبيب سمي بهذا الاسم لأنه كما يحكى عمل على إجراء عملية لأحد الرعاة في الخلاء تعرض لحادث فأخرج أمعاءه فعمل خميس على إرجاعها وقفل البطن وأخاطها بالسعف وتعافى الرجل ومن يومها سمي خميس الطبيب وكانت هي أول وآخر عملية أجراها وهذه هي الرواية حسب ما سمعنا في ذلك الوقت.. وكان طبيب العظام البلدي أو البصير هو بانجيو وكان يعمل الجبيرة لكل الكسور يرسلون إليه السيارة في حالة أي حادث ويحضر على الفور من جويغينة ويعمل على تجبير الكسور ولم نسمع بأي مضاعفات حصلت في ذلك الوقت لأي شخص عالجه بانجيو ..وأذكر أن أحد الأولاد كان يتعلم قيادة الدراجات المؤجرة من يحيى كرامة صادف أختي الصغيرة وضربها بميزان العجلة وكسر ترقوتها وكان الطبيب الذي أجرى لها العملية هو بانجيو وكانت عملية ناجحة .

سوق الملابس الجاهزة كان عامراً جداً صورة مصغرة لسوق ليبيا في الخرطوم معظم الذين يعملون هم من غرب السودان الزغاوة وقليل من الشباب من الجزيرة. كانت الملابس تأتي من ليبيا ومعها العطور والكريمات وكانت ذات جودة عالية وأحياناً نجد العطور الفرنسية التي تستجلب من تشاد والدول الفرنكفونية وفي نهاية سوق الملابس نجد صيدلية أبو خديجة (يتلى) وهي الصيدلية الوحيدة وكان له صندوق كبير فيه كل الأدوية التي يحتاج لها الناس وكانت تكفي.. أخيراً ظهرت بعض الصيدليات وعدد آخر من صيدليات أو دكاكين بيع أدوية المواشي.

مرت المجلد بفترات حداثة ودخول شركة شيفرون أحدث حراكا في السوق وتعرض الناس للتكنولوجيا وازداد عدد السيارات الصغيرة ودخول وجوه وشخصيات جديدة.. كانت المجلد تعاني من أزمة مياه مزمنة في الصيف وكثرة المياه في الخريف وعملت الشركة على حل أزمة المياه بتركيب طلمبات كبيرة بكفاءة أكبر وعملت ردميات وطرقاً واضافت الشركة تغييراً كبيراً في حياة الناس وانتظام حركة الطيران بأنواعها الركاب والنقل والتكسي الجوي وطائرات هليكوبتر تحمل المعدات الثقيلة بشبكة أسفل الطائرة فكان حراكاً كبيراً وأتيح للمواطنين أن يركبوا الطائرة بعلاقاتهم للخرطوم...

كانت شركة شيفرون مورد الثلج الوحيد للناس في شهر رمضان وكل من له علاقة يذهب ويملأ الحافظة بثلج في شكل دوائر ومن وجد يعد ذلك إنجازاً عظيماً...في ذلك الوقت دخلت المجلد مرحلة الحداثة...فبدأت المساحة والتخطيط وأحدثت ثقوباً كثيرة في المباني والحيطان لتوسعة الشوارع وكانت المساحة غير مرحب بها لأنها تقطع جزءاً من مساحة المنزل لتوسعة الشوارع وكان الناس بيوتهم كبيرة في شكل ميادين فعملت المساحة على فتح الطرق...وظهرت دكاكين وبوتيكات فيها سمات المدينة...فتح محمداية أبو شعير بوتيك محمداي يحضر فيه ملابس وعطور ذات جودة عالية لكنه كان بعيداً من وسط السوق في الطرف الجنوبي يفتح في كرانك الحدادين وكان فيه فترينات زجاجية مزينة بصغار نمور محنطة هذه الجراء الصغيرة المحنطة هي أكثر ما لفت نظرنا ونحن صغار من باقي البوتيك خاصة أن المجلد لم تكن فيها دكاكين مزينة بالزجاج والفترينات وكان يذكر أن هذه النمور وجدت مع أمها وأخذوا الجراء الصغيرة وتبعتهم الأم مسرعة خلف السيارة حتى تم قتلها في شكل مطاردة هذا حسب الرواية التي سمعتها. وفتح حسن باسطة أول محل للباسطة فأشعر الناس أن المجلد أصبحت مدينة فيها باسطة. وأيضا بعد فترة فتح آدم خليل كافتريا وأحضر فيها الببسي كمشروب نادر من الابيض والخرطوم فكان الببسي في ذلك الوقت ليس متوفراً ومنتشراً بصورة كبيرة في المدن كما يحدث الآن. في بداية

التسيعنيات اتصل بي بولاد الطيب وأنشأنا مدرجاً صغيراً لنادي مشاهدة خلف بيت بشير التجاني لعرض الفيديو والمساهمة في الحركة الثقافية وكانت تعرض فيه الأفلام الإسلامية والوثائقية واستمر لفترة أحدثت تغييرا بين الشباب وكذلك اشترينا معه وابوراً لتوصيل الكهرباء وكان يمد المحال التجارية والقهاوي بالكهرباء مما جعل جزءاً من السوق يعمل ليلاً فأضاف لمسة من لمسات المدينة الى المنطقة.

وكان ما يميز سوق المجلد هو انتشار بائعات الشاي في مناطق مختلفة من السوق وأظن هذه الظاهرة انتشرت في كردفان ثم عمت بقية السودان لأنها بدأت منذ منتصف الثمانينيات ومعروف أن أهل تلك المناطق وأهلنا المسيرية يحبون الشاي حباً جماً ، وحركة سوق الخميس كأنها تدور حول شراء الشاي، وقال بعضهم إنه يأكل الوجبة ليشرب الشاي وكانت لهم أدبيات كثيرة وشعر حول الشاي وشربه ويسمونه الباتيل أبوسلكة وهو اسم الدلع للشاي.

والفنادق واللكوندات لم يكن هناك اهتمام بالاستراحات أو اللوكوندات فلم تكن هناك حاجة لها فالناس بيوتها مفتوحة لكل زائر وكل الضيوف لذا كان يعتبر من الاستثمارات الفاشلة ويذكر أن أحد التجار في منطقة مجاورة فتح لوكاندة وجهزها وبدأ الضيوفُ يرتادونها وهو يأتي ويجد الضيوف ويسألهم من أين أنتم ؟ ويتعرف عليهم ويعرف أخبارهم وبعد أن يتعرف عليه يحلف عليه أن لا يبقى باللوكاندة ويذهب معه للمنزل واستمر بهذه الحالة وفي النهاية أغلق اللوكاندة لأنها أصبحت تجارة غير رابحة مادياً.

كانت هناك لكوندةواحدة في المجلد، لكوندة أحمد عمر صدرين كانت مَعَلماً من معالِم البلد وهو كان أول نائب لحزب الأمة في البرلمان...وأذكر العم دوكي وهو شقيق صدرين وأولاده ومن الأشياء التي أذكرها يقال إنه عندما رزق بابنته أنديرا...سماها على أنديرا غاندي فكتب لها خطابا وأرسله من بسطة المجلد إلى الهند معنوناً لرئيسة الوزراء مباشرة وأخبرها أنه سمى ابنته عليها...فبعد فترة من

الزمن أتاه الرد من أنديرا غاندي تشكره على ذلك ويقال إن المجلد كلها عرفت بذلك الخبر...وهو اهتمام كبير من رئيسة وزراء الهند..حسب الرواية. وهذا يوضح فعالية التواصل والبساطة في ذلك الوقت وكذلك اهتمام رئيس وزراء رغم مشغولياته بأن يرد على خطاب وأيضاً يوضح طموح العم دوكي وهو في هذه المنطقة البعيدة وهو يخاطب رئيسة وزراء في بلد ناء وهو على يقين أنها سترد عليه بكل احترام وتقدير.

الأعياد
والحركة الاجتماعية

الأعياد والحركة الاجتماعية

العيد هو من الفترات القليلة التي يتحرك فيها المجتمع بشكل احتفالي وأهم ما يميز العيد في المجلد هو قفل السوق والمحال التجارية وكان السوق هو المعلم الذي تعرف به الإجازة وكان الاحتفال بعيد الأضحى وعيد الفطر، وما عداه عبارة عن عطل قد تقفل المدارس لكن لا يقفل لها السوق. عيد الاستقلال وثورة مايو في ذلك الوقت كانا من الأعياد الظاهرة التي يشعر بها الناس لكن لم يكن لها ما يميزها بصورة كبيرة. أحياناً يوضع ميكرفون على سيارة صغيرة (لاندروفر) أو كومر ويصدح صوت وردي في عيد الاستقلال بأغاني أكتوبر.

عيد الأضحى وعيد الفطر كان لهما مذاق خاص حيث يخرج الناس جميعاً للصلاة في الميدان ويزور الناس كل البيوت مشياً على الأقدام لأن المنطقة كانت صغيرة والمسافات قريبة وكان استعمال العجلات شائعاً لأنها كانت مرتبطة بالدراسة وكل من نجح في امتحان الانتقال للمدرسة المتوسطة يشترون له عجلة هدية نجاحه في الامتحان .

للعيد تفصل الجلاليب عند ياولي والتوم الشايقي وهما كانا أشهر الترزية شهرة في السوق.. العيد كانت تتخلله نقارة في الميدان أمام بيت الَناظَّر بابو نمر والمدرسة الغربية وسباق للخيل ومن أوضة البنزين حتى دونكي المجلد يجتمع الناس على طرفي الميدان وصوت النقارة يرتفع وشباب وشابات من المسيرية يرقصون بزيهم المميز والمزركش بالريش وصفارة وكشكوش على الأرجل وسكين على الذراع وعصي دليل القوة والرجولة ، وتعلو أصوات الزغاريد والخيل تجري ويرتفع الغبار مع سرعة الخيل والرقص العنيف..

يتجمع الأطفال جوار مبنى البوسته (مكتب البريد) ويلعبون بالمراجيح الكبيرة

أو كانت عنقريب مقلوب معلق من أرجله الأربعة جوار الروضة خلف البوسطة ونقضي وقتاً طويلاً ممتعاً أيام العيد ونصرف كل قروش العيدية في ركوب العجلات المؤجرة من يحيى كرامه...ويوسف محمد نور. حيث الأرض واسعة والميدان كبير . رقص المسيرية والبقارة على أنغام النقارة وبملابسهم المزركشة الزاهية واستعمال الريش الملون، الطريقة التي ميز بها البقارة زيهم للرقص بالريش والألوان الزاهية وقرع النقارة (الطبل) تذكرني بالهنود الحمر في أمريكا وفنونهم وأزيائهم واستعمال الريش وركوب الخيل مما يوحي يتداخل الثقافات والترحال الذي حدث عبر العصور دون أن يتم تعقبه والكتابة عنه بصورة كاملة لاسيما أن هناك أقلام تتحدث عن الإسلام دخل الى أمريكا الشمالية والهنود الحمر قبل أن يتم فتحها من كولومبس قبل أربعمائه سنة .

وهذا التداخل أيضاً يؤكد أن منطقة المسيرية قصدتها الهجرات العربية والإسلامية منذ بداية هجرة العرب الرعى والمناطق الغنية بالمياه فأصل البقاره والمسيرية هو من الأصول العربية الخالصة اللتي دخلت السودان بعد إنهيار الاندلس أو الهجرات من الجهة الشمالية اللتي دخلت بعد إتفاقية البقت . وكان شرط حكام النوبة في ذلك الوقت السماح للعرب بالدخول لمناطق الرعى دون حط رحالهم في منطقة النوبة فكانت إتفاقية عبور سمحت للعرب بالعبور وهناك قصدوا المناطق الغنية بالمراعي شمال كردفان ودارفور ووسط كردفان فالمسيرية شعب عربي يحب الترحال وهذا يعزز الثقافة العربية والقيم العربية الراسخة ، حيث عرف المسيرية بالكرم ، والشجاعة وحماية العرض والدفاع عن الأرض وهذه هي القيم اللتي تؤكد على أصولهم الإسلامية والعربية .

هناك أيضا دراسات تأريحية تؤكد أن منطقة كردفان ودارفور هي مناطق رعى منذ آلاف السنين أي من ستة آلاف سنة على الأقل حيث وجدوا أن الجين المسؤل من تكوين الإنزيمات الهاضمة للحليب ((اللاتيز)) قد تكون أولا في هذه القبائل مما يدل على أنها قبائل رعاة اعتمدت على الحليب في غذائهم منذ آلاف السنين

كذلك هيرودوس أي المؤرخ وله أقدم كتب التاريخ ويعتبر أقدم مؤرخ حيث كتب عن مصر وليبيا منذ ألفين وخمسمائة عام مخطوطات محفوظة حتى الآن كتب عن قبائل البقارة ووصف الأبقار ذات القرون الكبيرة ورعاة البقر وميزة القرون الكبير هذه وجدت في الرسوم الصخرية في دارفور حاليا بين الجنوب والشمال لم تتكون في تاريخ دولة المغرّه ، لم يكن هناك حركة للمسيرية بين الشمال والجنوب لأن الموارد كانت متوفرة وكانت السافنا الغنية ممتده حتى شمال كردفان وشمال دارفور ، وكتب ماكمايكل عن وجود بحيرات في دارفور ، كانت توجد بحيرات في جبل تقروا وبدأ بعدذلك التصحر تدريجياً ، ووادى هور الحالي كان يسمى النيل الأصفر ، الألماني يونيه وجد عليه أكثر من ألف موقع أثري وهذا التغير المناخي الكبير بدأ في التغير في الخمسة آلاف سنة الأخيرة هذا حسب ما ذكره دكتور أحمد الشين المتخصص في التاريخ بهذا المجال .

نوبا الشمال (الدناقلة والمحس) النوبة في الجنوب (كردفان) كانوا متواصلين وهناك معالم ثقافية ولغوية تؤكد ذلك . الكشوفات الجينية الحديثة كما أسلفت الخاصة بإنزيم اللاكتيز المسؤل عن هضم الحليب توضح أن الرعي في العالم بدأ في المنطقة بين النيل وبحيرة تشاد ، وهذا يرجع إلى خمسة آلاف سنة ، حيث كان الرعي من التغير ، ثم دخل الحصان إلى منطقة المسيرية في عهد بعانخي حيث كان يحب الخيل وهو الذي أدخله إلى وادي النيل (خيول دنقلا) أما في غرب السودان وبعض مناطق المسيرية فقد أدخل الحصان عبر مملكة الجراماتنيين جنوب ليبيا وهي مملكة معروفة كانت قبل خمسة آلاف سنة ، وظهر هذا في الرسوم الصخرية على شكل العربات التي تجرها الحصين ، عرفت مملكة الجراماتنيين بالخيل وتربية الخيل حيث أدخلت الخيل إلى منطقة دارفور في الألف الأخيرة قبل الميلاد . ثم دخلت الجمال حيث أدخلها الرومان من آسيا إلى المنطقة العربية (الجمال أبوسنامين) في الألف والسبمعائة سنة الأخيرة قبل الميلاد ...المسميات الحديثة (مسيرية ، بقارة) هذه المسميات ظهرت قبل (٥٠٠) خمسمائة سنة مما يدل على علاقتها بالهجرات العربية والإسلامية الأخيرة .هذه التفاصيل التي ذكرت تؤكد

أن الرعي موروث لآلاف السنين والرعي في هذه المنطقة يعتبر أقدم الرعي في العالم حيث دخلت الهجرات العربية والإسلامية فأثرت في التركيبة الإثنية واللغوية في المنطقة .

وهذا النوع من التداخل ليس في بلاد المسيرية فقط بل هناك عادات كثيرة في السودان مماثلة لقوميات أخرى تشير إلى أن هناك ثمة تداخل ثقافي وعرقي نشأ عنه ذلك الإرث ، فإن الثوب السوداني عندما تقارنه بالساري الذي يرتديه الهنود يوحي بتأثير ما بين هذه القوميات وطقوس الزواج المشابهة لما تفعله قوميات شرق آسيا ، الضريرة والحرير واستعمال اللون الأحمر في الأعراس هي عادات هندية ، كذلك الصليب الذي يرسم بالكحل في وجه الطفل المولود يدل على تأثير كنسي وصليبي وبقايا الممالك المسيحية في السودان وأيضا الطريقة التي تخرج بها المرأة بعد أربعين يوماً من النفاس أو الوضوع وتدور حول الشجرة سبع مرات وتضع الدهن أو الودك علي جبهة الطفل هي عادات من بقايا الوثنية في شمال السودان زيارة العريس وزوجته للنيل والاغتسال بماء النيل هي عادات فرعونية قديمة ، كل هذه العادات انصهرت وكونت ثقافة وتقاليد الناس في السودان ويفعلونها هكذا دون قصد التعبد بها، وهذا يعكس التنوع الفكري والثقافي الذي نتجت عنه ثقافة السودان.

في زيارة إلى بنغلادش قمت بزيارة إلى المتحف القومي وهو متحف ثر غني يحتاج إلى يومين لتقف على القطع المعروضة فيه ، ما أدهشني هو التشابه الكبير بين كثير من الأشياء التي كنا نحسبها سودانية محلية ، وجدت عندهم المشلعيب وهو حامل من السعف يحفظ عليه الأكل واللحم بعيداً من القطط يعلق في سقف البيت ، والبرمة والقلة بنفس الطريقة السودانية والعنقريب والبنبر بنفس المقاسات السودانية ومنجد بالسعف ، وكذلك في الزراعة استعمال الحشاشة والجراية بنفس الطريقة التي يستعملها السودانيون في المناطق المطريةَ وكذلك البخسة التي تستعمل لحفظ الروب (دق الروب) وهي مشابهة تماما للبخسة في

السودان وأدوات القهوة أو الجبَنة والشرغرق تشابه معدات القهوة في السودان ، واستعمال الحيوان في الزراعةَ ، فكانت سياحتي في المتحف ببنغلادش سياحة مقارنة جعلتني أجد كثيراً من أُوجه الشبه ، مما يعزز فكرة أن الثقافة السودانية أيضا تأثرت بالهجرات الآسيوية وانصهارها في ثقافة السودان.

الحفلات والمناسبات الاجتماعية والدينية

الحفلات والمناسبات الاجتماعية والدينية

الحفلات المناسبات كانت قليلة جداً وعادة ما يتم الزواج باحتفال تقليدي أو رقص على النقارة بعض الأسر المستقرَّة في المجلد تقيم حفلاتها بالصورة الإفرنجية المعروفة. حفلات المناسبات كان يحييها الأستاذ على حرقاص وهو ينتمي إلى قبيلة النُظّار ويعتبر من الأسر النبيلة في المجلد وهو يعزف على العود وكان له سمت الإنسان الراقي المُهذّب. كان الأستاذ علي لا يغني إلا في حفلات مختارة وكان لا يستعمل الساوند سيستم يغني بالميكروفون العادي ويطرب له الناس لعذوبة صوته فقط.. وأيضاً كان يغني في المناسبات الأستاذ يوسف محمد نور وهو عازف عود ماهر هو وأخوه كانا أُسرة فنانة في المجلد ، أذكر أن أخاه في زواجه من بنت مختار البشير غنى بنفسه (يا معاين من الشباك)، للفنان محمد الأمين فطرب له الحضور وكان شيئاً جديداً وممتعاً أن يغني العريس في حفلة عُرسِه. وكان البعض يقيم الحفلات بالمسجلات الكبيرة دون الحاجة لفنان وكثيراً ما كانت الحفلات أسرية لا يدخل لها الغُرباء، حيث كان المجتمع صغيراً ومحافظاً...

ما يميز المناسبات ودعوات الأعراس الكشف الذي يدفع فيه كل الناس قدراً يسيراً ، لكن مع كثرة الناس يكون مبلغاً معتبراً يدعم أهل المناسبة وهو ما يُسمى بالواجِب عند النساء فنجد كل النساء يدفعن للمرأة في حالة الولادة وكذلك الأعراس والوفيات هذا النوع من التكافل هو ما يميز تلك المجتمعات وعند طهور البنات والأولاد حيث كان النساء يمارسن أنواعاً من خفاض البنات يعد النوع الأشد في الخفاض يسمونه الخفاض الفرعوني ، حيث تزال الأعضاء التناسلية الخارجية للبنت مما يسبب لها كثيراً من المشاكل الصحية مستقبلاً. وكانت تمارسِه الدايات القانونيات دون أن يمنعهن أحد فخفاض البنات كان من

الممارسات الشائعة.

الوفيات لم تكن من الأحداث الشائعة ربما لقِلة الناس وكذلك المجتمع كان مجتمعا شاباً، لكن الوفيات التي تحدث كانت تعتبر حدثا كبيراً يجتمع له كل الناس ويستمر العزاء لأسبوع أو أكثر وكثير من الوفيات كانت تحدث نتيجة حوادث العربات خاصة اللواري في سوق أُم دورور وهو سوق أسبوعي يذهب له التجار الصغار ويحمل اللوري كمية من البضاعة وعدداً كبيراً من الناس وكثيراً ما ينزلق اللوري في زمن الخريف من الردميات الآلية التي أنشأتها شركة شيفرون وخاصة أن أرض المجلد طينية زَلِقة فينقلب اللوري . أيضا كانت هناك وفيات الأطفال الصغار بالنزلات المعوية خاصة في فترة الشتاء حيث يموت عدد كبير من الأطفال لعدم توفر التَطعِيم او لعدم انتشاره في ذلك الوقت في المناطق البعيدة. كان الناس يدفنون في المقابر في منطقة شرق المجلد قريبة من بوطة دودو « الان تسمى مقابر المستشفى» وأيضا يدفن البعض في قبة الشيخين الأخوين أبو شعر والدليديم، ولحميمية العلاقة بين الناس تجد معظم الناس يبيتون في بيت العزاء، معظم الذين يحضرون العزاء والدفن من الرجال والنساء الكبار ، ويرسل الجيران الأكل في الصواني من بيوتهم إلى بيت العزاء ولا أظن أن أهل الميت يفعلون الكثير، وكذلك في الوفيات يقوم الجيران بوضع كشف يَدفَع فيه الجميع لسد نفقات العزاء كما يحدث في معظم أنحاء السودان. مشاركة الصغار لم تكن أمراً شائعا، لكن أذكُر طرفة حدثت في إحدى المناسبات، كنا نلعب الدافوري فإذا بي أرى مجموعة من البنات من أقربائي خرجن في وقت العصر لعزاء إحدى صديقاتهن ، ودخلن منزلاً كنا نعرف أن به عزاء فدخلن البيت وبعد فترة وجيزة خرجن وهن يهرولن جرياً وأم صديقتهن كانت وراءهن تحمل عكازاً غليظاً فهربن البنات ونحن في حَيرةً مما حصل ، فأسرعنا كحال الصغار نسأل عن السبب ، فقالت إحداهن إنهن عندما دخلن البيت لم يجدن صديقتهن ودلوهن على أمِها التي في داخل بيتها فذهبن الفتيات لعِزاءها وحاولن تقليد الكبار وكل واحده

وضعت يدها علي رأس المرأة كما كان يفعل النساء في ذلك الوقت يضعن ايديهن في رأس المرأة ويبكين أو يتباكين ، فعندما وضع البنات ايديهن علي رأس المرأة وجد أقَرع بدون شعر أو صلعه تماماً، فنظر البنات لبعضهم وبدل ان يبكين بدأن يضحكن بصورة هستيرية وهن يحاولن اخفاء ضحكهن بصوره ظاهرة وتكرار لبِرَهة كانت المرأة تظُن أنهن يبكين وأخيراً إكتشفتَ أن البنات يضحكن بدلُ أن يبكين فهاجت فيهن وحَملَت عُكَازة غليظة وهرب البنات الي الشارع والمرأة الكبيرة تشّتمُ وتصرخ من تصرفهن الغير لائق. فعندما تسألنا عرفنا ان أُم صاحبتهنُ تعاني من مرض نفسي ومع الحزن قررت ان تحَلقِ رأسها صلعة وتفاجأ البنات بملمس الرأس ، لكن كانت العلاقة عادية وذهبن مره أخرى وأعتذرن لها.

المولد النبوي كان له طعم «خاص» في المجلد حيث كان يُقرأ المولد العثماني والمولد التيجاني بالتناوب، معظم الناس كانت تقرأ المولد التجاني بصورة راتبه طيلة أيام المولد ، شيخ الريح وشيخ الدوخ كانا يقرآن المولد العثماني، شيخ الريح، كان رجلاً نحيلاً هادئاً يعمل تاجراً في السوق والدوخ كان له دكان لبيع زيوت الطعام وكان دائماً ما تجده في هيئة توحي بكثرة العمل حيث تجد ملابسه متسخة وملطخة ببقايا الزيت المتراكم، الدوخ كان رجلاً صالحاً يحبه الناس، في أيام الحج يذكر الحجاج الذين يذهبون إلى البيت الحرام أنهم يرونه في زحام الحجاج لكن دون أن يتحدثوا إليه حيث يختفي في الزحام عندما يهموا بالاقتراب منه ، الصوفية يقولون أنْ مثل الدوخ له (سر الخطوة) وهو سر يسمح للشخص أن يسافر إينما شاء ووقتما شاء . الاحتفال بليلة المولد الأخيرة كان عادة ما يكون صاخباً حيث تخرج كل النساء والأطفال إلى المسجد ويجتمع الناس إلى ما بعد صلاة العشاء وكان يعتبر وقتاً متأخراً بمقاييس المجلد وعدم وجود الكهرباء. معظم الناس كانت تنام بعد العشاء مباشرة...يذبح في ذلك اليوم عدد من الذبائح في الغالب عدد من الثيران إيذانا بنهاية المولد وتُطَبخ الفتَّه والأرُز في قدور كبيرة يشرف عليها عادة عدد من الناس ولجنة المسجد وكذلك رجل يسمى الشِبلي نشأ مع ود الفكي وبعد رحيل أسرة ود الفكي من المجلد كانت له علاقة مع الوالد

حيث أصبح حواراً له ينظم له حلقات العلم ويهتم بشئونه الخاصة، الشبلي وهو رجل من الجنوب وتطبع بطبع المسلمين وكان أحد الذين لازموا مسجد المجلد... فتة المولد كان لها طعم خاص يختلف عما نأكله كالعادة فالجو الاحتفالي في ذلك اليوم يجعل كل شيء لذيذاً ويؤكل بشهية ، حلويات المولد كانت تصنع في حي فلاتة بألوان مختلفة وطعم مميز فريد.

المولد كان أيضاً فرصة للشباب لمشاركة الكبار في حلقات العلم وقراءة المولد والمديح، وأذكر أن صالح البوليس كان يختم تلك الجلسات بمدح وإنشاد (البراق تلألأ وجاب لي النسيم) وهي مدحة واحدة يرددها بعد نهاية كل حلقة ، كلماتها جميلة لكن صوته لم يكن صوت مادح محترف ، لذا نجد البعض يحاول عدم سماعها بصورة يومية.

موسم الحج الذهاب لأداء مناسك الحج كان يعتبر مُناسبة خاصة يجُهَّز لها الحاج وأهله منذ فترة حيث يسافر الحاج للخرطوم لتِكمِلة إجراءات الحج مما يضطر الحاج للسفر قبل شهر أو يزيد من موسم الحج ويتم وداعه من كل الأهل والجيران في شكل احتفالي وزغاريد النساء ، ويتم تجهيز الأكل الناشف واللحوم في صفائح تسمى (المجِوَز) وغالبا تجد الحاج مسافراً مع زوجته مما يجعل مجموعة من النساء مرافقات لأزواجهن فيقمن بتجهيز الطعام والعناية بأزواجهن في الحج ويطبخن أنواع الأكل السوداني هناك في الحج (العَصِيدة والكِسرة) وأيضاً يَقُمن بتجهيز قهوة (مِنَى) وهي قهوة معروفه تجهزها النساء في فترة إقامتهن في مِنَى. وعند عودة الحجاج تجد البيت قد تزين وتم تغيير دهان المنزل (الجير) بطلاء جديد وكذلك يكتب على باب المنزل (حج مبرور وسعي مشكور) على أعمدة المنزل وهذا نوع من اهتمام الأسرة بالحاج وهو تعظيم لشعيرة الحج في نفوس الأهل والضيوف ، ومما يحكى أن الحج كان فيه مشقة كبيرة قد يتوفى على إثرها بعض كبار السن وهذا يكون محظوظاً وقد جاور الرسول (صلى الله عليه وسلم). أذكر في نهاية الثمانينيات ذهب أحد أقاربي لأداء فريضة الحج وهو في

الستين من عمره، تم دفعه على الرصيف وهو في الطريق من مُزّدلِفَه إلى مِنى ، وفقد إحرامه وكان في حالة إغماء وهو في هذه الحالة كان عمنا يس دعاك أيضا من الحجاج ذلك العام ، ورغم أنه لم يعلم بوجود قريب له في هذا الحج لكن عرفه رغم الزحام ووقف لحمايته من أن يَدهَسهُ الحجاج وطلب الإسعاف وتم إجلأه لأقرب مستشفى حتى تعافى وواصل ما تبقى من مناسك الحج. فالحج كان فيه مشقة خاصة لأناس لم يسافروا من بلدانهم ولم يتعرضوا للتكنولوجيا والزحام فيكون هو تغيير مفاجئ في نمط حياتهم مما يسبب كثيراً من الإشكالات والحوادث.

النشاط الرياضي

النشاط الرياضي

الرياضة في المجلد كانت متميزة ...كان هناك دوري ممتاز على مستوى عالٍ.. ومنافسة يجتمع لها كل أهل المجلد...فريق الشاطئ والشروق والنسيم وشركة شيفرون أيضاً كونت فريقا في إطار المسئولية الاجتماعية والرياضية في البلد وكان فريقاً مميزاً يشارك فيه بعض الخواجات في الشركة وكان فريقهم يعطي طابعاً عالمياً للرياضة بمشاركة الخواجات من جنسيات مختلفة، مع خُضرة المجلد وشكل الخواجة كأنك تشاهد فريقاً أوروبياً ، وهذا المنظر كان يُذكرني ما قاله الناظر بابو نمر عند زيارته ورجوعه من لندن في زيارة إلى ملكة بريطانيا وعند عودته تحلق حوله عدد من أهلنا المسيرية يسألونه أن يصف لهم لندن فلخص لهم الموضوع في جملة واحدة (لندن مثل دينقا في الخريف) ويُعضَّد ذلك أن طبيعة لندن تشبه طبيعة المجلد الخضراء وما تحويها من مياه وطيور الخريف من مختلف الأنواع . وهذا الكلام ليس حديثا عابراً بل فيه حكمة محكمة مرتبة أراد ان يرسخ لها الناظر بابو وهو عدم الاندهاش كثيراً ببلاد الغير إلا بالقدر الذي يساعدك في تنمية بلدك ، وهذا عكس ما يقوله العامة عند زيارتهم لبلاد أخرى ، فعندما يسأل الناس أي إنسان عادي عن زيارته إلى خارج السودان ، يبدأ في إعلاء شأن الدول الخارجية ويصف محاسنها بصورة تشعر الإنسان المحلي بأن بلاد المهجر والبلاد الخارجية هي أفضل من داره مما يشعره بالدُونيةَ و يجعله يفكر في الهجرة لبلاد أخرى ، وأحياناً يقارن بين بلده وبلاد الغير وهي مقارنة غير عادلة لكن حكمة الشيخ بابو خاصة وهو يمثل القدوة والحاكم كيف له أن يتباهى ببلاد الغير لذا فضَّل أن يجعل إنسان بلده يشعرُ بالفخر ببلده وأن بلاد الخواجات تشبه بلده وليس العكس مما يعزِّز قِيم الوطنية وحب الأرض وهي عكس طريقة كثير من الناس عندما يزورون البلاد المتقدمة ويَنبهرون ويبدأون بالمقارنة غير العادلة وجَلدِ الذات وجَلدِ الوطن ، والمقارنة بين الإنسان الأوربي وإنسان بلده ومقارنة بين القيم مما يصيب

الإنسان بالإحباط من حاله وحال بلده بصورة سلبية .

رجوعا للرياضة ، من السودانيين الذين كانوا يلعبون في فريق الخواجات، عادل البلالي (كنج كونج) وعلي رحمه (فوكس) وجمال حسن علي وأذكر في إحدى المباريات شارك فيها بريش لاعب الموردة وكان وقتها مشهوراً جداً أتى إلى المجلد هارباً من التسجيلات في الخرطوم ... وأحياناً تكون المنافسة حامية وتشغل حديث الناس في الأسواق خاصة إذا كانت المباراة مع فريق من بابنوسة . أبو حميد عبد الرحمن كان من نجوم الدوري أظنه كان يلعب في الدفاع وجمال طه وسبيل أبكر ولاعب اسمه أبكر عمر من حلة دفاع يعمل بشيفرون يلعب لفريق الشباب ، على بَركَة كان هداف الدوري في إحدى المرات وأحمد كشك الآن يعمل مصوراً بقناة الشروق كان من اللعيبة المشهورين والفنانين أظنه كان يلعب بالشعلة وحسن النور وحافظ بشير بفريق الشروق وآدم ميته ، الحاج كريج كان أكبرهم سناً وكان يلعب في فريق الشروق وحسن كديس وحسين أحمد حامد ومحمود عبد الرحمن وجمال حسن علي بفريق الشروق وأذكر أيضاً خليل كان لاعباً بفريق النسيم وكان هو اللاعب الأكبر سناً بين لاعبي الفريق ، وكان يعمل بالبناء ، لكنه حريص على المشاركة في الرياضة ، وفي إحدى المباريات أحرز هدفاً في المباراة وكانت مباراة صعبة في الدوري ، فقام خليل بالاحتفال بالهدف بطريقة استعراضية فقفز في الهواء وقلب نفسه بصورة بهلوانية ، كما يفعل لاعبو اليوم ، هذه الطريقة إستفزت الحكم ، الذي كان يعمل أستاذاً للغة الإنجليزية في المدرسة المتوسطة ، فانتظر خليل حتى انتهى من احتفاله بالهدف وأعطاه كرتاً أحمر طاردا له من الملعب ، وسط دهشة الحضور عرفت بعد ذلك أن خليل التقى بالحكم بعد عشرين سنة وهو أعمى فعرف الحكم من صوته وقال له لماذا طردتني من الملعب بالكرت الأحمر ، هذه الأيام كل اللعيبة يحتفلون بهذه الطريقة ولا أحد يسألهم هذا يوضح كيف كان اللعيبة يأخذون الأمر بجد .

وكان أيضاً إبراهيم محمد حامد من نجوم فريق الشعلة وكان يعتبر أصغر لاعب في الدوري ودرس هندسة البترول وكذلك مسار جمعة كان من النجوم في

ذلك الوقت ويلعب بطريقة مميزة. وكانت هناك حوادث وإصابات وكسور أذكر في مباراة مع فريق الشعلة كان يلعب علي الأمين الدسوقي وتعرض لكسر في فخذه فأقعده بالمنزل وكان المعالج رجلاً يدعى بانجو يسكن منطقة بشمة بين المجلد وبابنوسة وهو بصير بلدي، وأذكر حجم التضامن بين اللعيبة واهتمامهم به وكان ذلك ظاهراً في كمية الدجاج (الحي) الذي يأتي به الضيوف دعماً ووقوفاً معه حيث هناك اعتقاد أن الدجاج والترمس يعجلان بشفاء المكسور.

الفرق التي أذكرها الشعلة والشاطئ والنسيم والشباب والشروق وفريق شركة شيفرون بالإضافة للفرق الرسمية كان هناك دافوري منتظم في الميدان الكبير أمام بيت النظار والدونكي وكان الميدان طويلاً جداً يمتد من الدونكي إلى حجرة البنزين (أوضة البنزين) قريباً من تبلدية حي الجبارات وهي غرفة لتخزين البنزين أظنها كانت لأحمد أبو شعير واختاروا أن تكون خارج البلد لتخزين الوقود من شركة شل والمواد المستهلكة الأخرى. وكانت تعتبر أبعد نقطة خارج البلد، هذا الميدان كان للكرة والمهرجانات وسباق الخيل وأيضاً كانت تنزل فيه الطائرات قبل افتتاح مطار شيفرون ونزل فيه الرئيس نميري وعدد من الرؤساء في ذلك الوقت وأذكر في مرة من المرات أقلعت طائرة الرئيس نميري ومع الإقلاع استشعر الرئيس خطراً فقفز بصورة لا أعرفها وتجمع الناس وركب مرة أخرى وأقلع بسلام.

الناظر لكل هذا الحراك الذي يشير إلى نبض الحياة الرياضية والثقافية والتداخل يشعر بالأمن الذي كان يعيشه الناس والحب الذي يربطهم في تلك المناطق. والمنطقة رغم صغرها لكن تشعرك بأنها اجتماعياً مكتملة ولها حراك يستوعب طاقات الشباب والناس مما لا يشعرهم بأنهم يعيشون في الهامش بعيداً عن العاصمة بل بالعكس هناك شعور بالانتماء للمنطقة وأنهم في وضع أفضل من العيش في المدن الكبيرة. لذا عندما رحلت بعض الأسر إلى العاصمة لم يكن عندهم الشعور بأنهم من مناطق بعيدة. بل أخذوا مناصب قيادية وكان لهم أثر فاعل على نطاق واسع وقومي وكانت لهم إسهامات سياسية وفكرية داخل وخارج السودان.

ألعاب الطفولة وقضاء الإجازات

ألعاب الطفولة

لم يكن هناك كثير من الألعاب أو المناطق المخصصة لألعاب وملاهي الأطفال في المجلد، لكن الأطفال كانوا يقضون وقتهم بطريقتهم الخاصة كان جوار (البوستة)، روضة الأطفال تدرس فيها أستاذة أم جودة ، وكان معظم الأطفال يذهبون لها وكان لها نشيد مشهور يحفظه كل الأطفال وتشارك به في المناسبات خاصة أعياد ثورة مايو ، كنا نغني (ماما أم جودة أدتنا علوم...قالت لينا كلام مفهوم...كله كلام كان في الثورة...ثورة مايو العاملة الحرة...وهكذا) الروضة لم تستمر كثيراً حيث لم تكن تهتم الأسر بالتعليم قبل المدرسي كثيراً، لكن كثيراً ما نكون في المسجد مع الكبار وفي الدكان نجلس لخدمة الكبار وأثناء ذلك نسمع الكثير من القصص والحكاوي .

وكان الأطفال يقضون وقت إجازة المدرسة في السوق أحياناً نستمع لحكاوي بعض الناس لأن الدكان كان معظم الوقت عبارة عن ديوان أو ضيافة يقضي فيها الكبار أوقاتهم لذلك الوجَبَات ترسل إلى السوق والشاي وتجد الرجال الكبار مُتحَلقين في جلسة أُنس بعد وجبة الغداء فكان الدكان هو امتداد للبيت ولم يكن هناك ما يخشاه الناس على الأطفال من سماع ألفاظ أو كلمات نابية بل كان المجتمع محترماً وكلامهم يستفيد منه الصغير في ما يحكونه أو يتطرقون إليه من سياسة وأدب وأمور دين وقصص تَرفع الهِمم وتؤصل القيم التي يربى عليها الصغار. وكان الكبار الذين نستمع إليهم من شاكلة آبائنا فكنا نلتقي الحاج أمدامكي وكان يحكي لنا كيف كان جدنا التجاني يسير معهم إلى بحر العرب ليُدرّسَهم اللغة العربية والتربية الإسلامية والفقه معلِماً للرُحَّل حتى أتى وأسس المدرسة الغربية بالمجلد فهو يعتبر أول من بدأ مدارس الرُحَّل ، كنت في اجتماع في سويسرا أقامته اليونيسف وتحدثوا عن مدارس الرُحَّل وكيف يمكن أن نعلم

الرُحَّل دون أن نؤثر في حياتهم الطبيعية ، فحدثتهم عن جهود شيخ التجاني في العام ألف وتسعمائة وعشرين في المجلد وجهوده في تعليم الرُحَّل وقلت لهم الشيء الذي تتحدثون عنه قد سبقكم إليه رجال كرّسوا حياتهم للتعليم ، سُجِّل هذا الحديث ونُشّر في مواقع الأمَم المتحدة...وكذلك من كان يلقب بالديك أبو فراريج كان يحكي لنا ونحن أطفال لماذا لقب بهذا اللقب ؟ لأنه عندما دخل الخلوة كان الأطول قامة بين الطلاب فلقبه شيخ التجاني بذلك اللقب وكُنا عندما نجلس معه يحكي لنا المعارك التي حضرها مع المهدية وهو صبي صغير شاهداً على تلك الفترة وبطولات علي الجلة مع المهدية وأظن أن الديك أبو فراريج عمره الآن أكثر من مائة عام.

كنا نلعب ألعاباً مختلفة ، خاصة عندما يأتي ابن خالتنا عِماد عبد المنعم من دبي حاليًا هو جراح كبير في بريطانيا لندن، وكانت زيارتهم من دبي هذه موضوعاً للعب، وجلسات السَمَر وهكذا، ومعظم الشباب كانوا يلعبون الكُرة والدافوري فكان هو اللعبة الشائعة والمحببة وكنت ألعب الدافوري مع مجموعة هم أكبر مني سناً وكانوا يقبلوني على مضض، الجيلي خير الله، ونزار وأولاد محمد علي بشير، وينلي والشريف ود أمريكا ، وكباشي البشير وكنا أيضاً نصنع عرباتنا وألعابنا الخاصة من السَلُوك وأيضاً العِلَب الفارغة وكان البعض يتفنن في صناعة السيارات بالسلوك والعِلَب الفارغة، والبنات كانت ألعابهن (بت أم ليون) ويأخذن أوقاتاً طويلة في صناعة هذه اللُعَب وتكون في شكل عرائس وكان البنات يلعبن بالحصا ونواة البلح لعبة تسمى (أم الحفرة) وتأتي الألعاب في شكل موسم، يأتي وقت تجد كل الأطفال يلعبون البلي ثم بشوشة ويلعبون الليدو وهكذا، وكان أيضا اللعب بالقرقور، يصنعه صباح النور وهو أشبه (باليويو) الذي يلعبه الأطفال اليوم لكنه مصنوع من الصفيح بالرغم من صغر المنطقة لكن كان الأولاد الصغار يملأون وقتهم بألعاب حركية ليست كما يفعل أطفالنا اليوم، يقضون معظم الوقت في ألعاب الكمبيوتر ويعانون السَمنَة وأمراض الكبار لقلة الحركة.

و كانت هناك لعبة يتشابك فيها الأطفال بالأيدي في شكل دائرة ويتحركون حول الدائرة وهم متماسكون وينشدون (السمين يقع والضعيف يقيف) وخلال الدوران يتساقط عدد من الأطفال ويصابون بالدوار ويخرجون من اللعبة حتى يبقى واحد وهو الفائز. وكان من يقع هو السمين والضعيف أو النحيف هو الفائز. فتغيرت المعادلة الآن أصبح السمين دوماً هو الفائز في مجالات الحياة.

الوالدِ كان واعياً لِنَوع اللعب الذي نلعبه فأحياناً يحضر لنا بعض الألعاب الحديثة التي تنمي الذكاء ، فأذكر أنه أحِضر لنا لُعبة المكعبات والأجزاء التي تُركّبَ في شكل بنايات معمارية وكان هدفه أن ينمي تفكيرنا ، وعند سفرنا إلى الخرطوم يشتري الألعاب الحديثة المتوفرة الآن لكن في ذلك الوقت لم تكن مُنتشَّرة بهذه الصورة الكبيرة.

كنا صغاراً نعتمد على جَلَسات السَمَر في البيت خاصة عندما تأتي لزيارتنا أسرة ومعها أطفال فيكون الجو احتفالياً، فكنا نلعب، كَمّبَلت، وهي لعبة يرص فيها عدد من العِلَب يقف لاعِب في جهة وآخر في الجهة الأخرى والعِلَب في المنتصف، والثالث في المنتصف يحرس العِلَب ويقذف اللاعب في جهة الكرة للاعب في الجهة الأخرى يحاول أن يَضِرب اللاعب في المنتصف بالكرة ، واللاعب في المنتصف يحاول أن يرص هذه العِلَب يكتمل العدد سبع علب ، وأيضا اللاعب في الطرف يحاول أن يضرب العِلَب لكي لا يكتمل العدد، وعلى اللاعب في المنتصف أن يمسك الكرة ويتجنب أن تَضرِبه الكُرة في جسده وكذلك تحمى العُلب المرصوصة وهكذا. وهي لعبة ممتعة تحتاج لطاقة ويمكن أن يستمر اللعب فيها لفترة طويلة تشبه لعبة الكريكيت الإنجليزية لكن لا يستعمل فيها مضِرب أو عصا وكنا نلعبها في البيت مع أبناء الجيران القريبين وأذكر منهم ، بهاء الدين أبو شعير، وعبد الله دفع الله ، وأبو شامة ، وكنت أذكر أن أحمد والفاتح عثمان أبو شعير كانا بالسعودية يأتيان للمجلد في الإجازات وينضمان للمجموعة في اللعب حاليًا ضمن المالكين لشركة بدر للطيران .

كنا في الإجازات نزور أهل الوالد في أمدرمان وكانت هي الفترة التي نلتقي فيها بالأطفال في عمرنا من الأهل وكانت فترة للهو واللعب ولقاء الأهل وكنا نأتي منزلنا ببيت يوسف دعاك وهو بيت أخ الوالد الكبير في أمبدة ثم نتجول في بيوت كل إخوانه ، عبد الله دعاك الذي عرف بالكرم وكان يحترمنا جداً وكذلك يسن دعاك بدار الهاتف وهو رجل خطيب وإمام درس فترة من عمره بالأزهر الشريف - بمصر وكان يدير مطعماً بدار الهاتف وفي الإجازات يرسل لنا الفسيخ المطبوخ في جركانات وكنا نحبه جدا وكانت تصنعه ابنته نور وكانت ماهرة جدا في صناعته ، وكثيراً ما نذهب إلى الدامر لزيارة البيت الكبير الذي نشأ فيه الوالد والبيت الكبير للأسرة أصبح الآن بيت عمنا عبدالكافي دعاك الذي بقي في الدامر مع جدنا حسنين حتى وفاته وفي البيت توجد خلوة جدنا حسنين، وأيضا كنا نزور عماتنا الحاجة فاطمة هي أختهم الكبرى والحاجة زينب والحاجة حليمة وكانوا يحتفون بنا جداً، والحاجة العفاية وكانت زيارة الدامر لها اعتبار خاص ومتعه لأنها زيارة لبيئة مختلفة حيث المترات (السواقي) والحواشات ونمط الحياة الذي يختلف عن ما تعودنا عليه في غرب السودان ، حيث نترك الأبقار ترعى على طبيعتها في المراعي الممتدة والحشائش الوفيرة ، أما في الشمال فتعلف الأبقار وهي مربوطة في أماكنها، في كردفان البهائم تخدم أصحابها لكن في الشمال الإنسان هو الذي يخدم البهائم ويجلب لها الغذاء والشراب، لكن الأبقار في الشمال تحلب كميات كبيرة من الألبان وضروعها منتفخة وبقرة واحدة تكفي البيت والجيران و تحلب ما تحلبه عشر بقرات في الغرب. هناك في كردفان البهائم متحركة منهكه لا تكاد تحلب ما يكفي وليدها وهي أبقار لاحمة ليست لإنتاج الألبان.

كذلك هناك ثمت مقارنة بين الزراعة في الغرب والشمال حيث الزراعة في الغرب ممتدة مغرية ومساحاتها واسعة تعتمد على الأمطار ولا يحدها النظر أما هنا في الشمال فالزراعة في حواشات محدودة صغيرة والمحاصيل المزروعة مختلفة، فكنا نلاُحِظ الفرق في البيئة والحياة ، حيث المياه مباشرة من النيل تسقى

بها الجنائن والحواشات وصوت الساقية كان يمثل لنا مشهداً رائعاً يُشْعِرَك بتَمَكُّن الإنسان من موارد الطبيعة والسيطرة عليها.

أذكر ذات مرة وأنا في التاسعة من عمري، وقفت متأملاً هذا المنظر الرائع، وفي هذه اللحظة ابن عمنا عائد عبد الكافي أدار وابوراً، فخرجت المياه مندفعة في حوض كبير «يسمونه المترة» فأنا أسرعت لأرى هذا المشهد فإذا بي أسقط في هذا الحوض المليء بالماء وكدت أغرق لولا تدخل الجميع لإخراجي من الماء. ومرة أخرى ركبت المُركِب أنا وأخواتي الثلاث ومعنا الوالد وعائدعبدالكافي، المَركِب كان لعمنا بلة ود سومي وكان الريس ابنه الحاج الآن هو مدير إداري كبير في الشمالية، فأخذنا في رحلة خاصة لنعبر إلى الغرب، فإذا بشِّراع الْمَركَب يفلت من أيديهم مع سرعة الرياح وبدأ المركب يدور حول نفسه بسرعة وهم يحاولون الإمساك بالشراع الذي ارتفع الى أعلى في السماء وفي تلك اللحظة نظرت لوجه الوالد فوجدته منزعجاً فعرفت أننا في خطر، وبعد محاولات طلع أحدهم في سارية المركب واستطاع أن يمسك بالشراع وعبرت المركب بسلام. فعبرنا إلى الغَرب وزرنا الأهل والعمات، وعند عودتنا أسرعنا لنلحق بآخر مركب قبل غروب الشمس، وبدأ الجو يتغير وهناك نذر عاصفة في الأفق فالجميع أسرع ليعبر إلى الضفة الشرقية قبل أن تهب العاصفة وحلول الظلام، فركِبنا المرُكَب وأدخَل الركاب كمية من البرسيم مقدار شحنة سيارة وأنا وأخواتي كنا ننظر لبعضنا ما هذا؟، ولم تكتمل دهشتنا فإذا ثلاثة رجال يركبون حميراً أصيلة يظهر أنهم من المعروفين في المنطقة أو أعيان المنطقة وركبوا وأدخلوا حَمِيرهَم معهم ثم رَكِب عدد من الرجال والنساء ولم يبق مَوطِئ قَدَم بالمركب وتحرك المَرِكِب والكل يتحدث عن العاصفة وأنها اقتربت وبعضهم يقول إذا أتت العاصفة ربما تغرق المركب وكلام كثير هم يعتبرونه حديثهم اليومي أما بالنسبة لنا فلم نتعود على البحر وبدأ المشوار يبدو أطول من المعتاد لأننا في سباق مع الزمن، وبينما نحن في هذه الحالة وفي المنُتَصَفَ بدأ المركب كأنه يغوص في الماء من ثقل الحمولة والبرسيم ويمكن أن تغرف المياه بيدك ومن تحت أرجلنا كان هناك تسريب للمياه

يخرج من خلال البرسيم وما يتجمع منه في آخر المركب عند الدفة كان الرَيسَّ يَغرّفِه بصحن من الطَلِس وهو يتحدث مع من في المَركِب كأنهم أُسرة واحدة وعندما أنظر لأخواتي أجدهن متوترات وحين ألتفت إلى أهل البلد معنا في المركب أجدهم لا يَأبهَون للموضوع كثيراً كأن شئياً لم يكن وأحيانا يصرخ أحدهم في ريس المركب أن أسرع قبل أن تدركنا العاصفة وتُغرّقِنا وهو يقولها ويلتفت ليواصل حديثه مع جاره في المركب كأن لم يقل شيئا خطيراً. وأنا أتلفت في المركب ولم يكن هناك أي أدوات للسلامة غير ذلك البرسيم أو الحمار لكي أتعلق به إذا حدث مكروه ، فكان مِشواراً بدا لنا طويلاً جداً حتى وصلنا إلى الضِفَة الأخرى مع بداية العاصفة ، وحجزونا في المركب لتنِزَل الحمَير أولاً وتفتح الطريق ، فكانت رحلة في الذاكرة لما فيها من رُعب ومتعة. وبعد فترة من تلك الرحلة سمعت في الإذاعة نعياً لعدد كبير من أهل قرية مجاورة غرق بهم مركب وعندما سألت عن السبب قالوا زيادة في حمولة المركب في فترة الدميرة فحمداً لله أننا وصلنا بالسلامة.

زيارتنا لأهلنا المتواصلة في دامر المجذوب والشعديناب جعلتنا نتعرف عليهم فحسنا فعل والدنا لم يتركنا بعيدا عنهم ، تعرفنا على أفراد أسرة الوالد الكبيرة وكنا على تواصل معهم في أمدرمان والخرطوم. كنا كذلك نطوف على معظم أسرة الوالدة في أمدرمان والخرطوم ونمكث معهم أياما الحاجة حرم التجاني عمة الوالدة وأسرة الدقير كانت الوالدة حريصة على زيارة عمتها وكذلك الأمين التجاني عمها فكانت هناك دعوة عشاء راتبة في بيته يقدم فيها ما طاب ، وأسرة الشيخ محمد تجاني في بحري المؤسسة، كان البيت به المرحوم الفاتح التجاني الذي كان يحتفي بوجودنا ويجعل لنا برنامجاً خاصاً.

كانت رحلتنا عادة بالقطار إلى الخرطوم مباشرة من بابنوسة/ الرهد/ مدني والخرطوم، لكن أحيانا نذهب إلى الأبيض، حيث هناك الحاجة فاطمة بنت السيد، وهي المرأة التي عرفت بكرمها وحبها للناس والأهل، وقوة القرار، وهي التي

قضت الوالدة معها طفولتها وابنها طلب محمد أحمد، وأسرة عبد القادر الطيب والحاجة ست النفر « نميسة » فكانت الأبيض تمثل بعداً آخر وهم أهل والدتي وأمها وكان هناك حب متبادل بينهم والوالدة و كنا نزورهم في طفولتنا . عندما قبلت بمدرسة خور طقت كان بيت الحاجة بت السيد والحاجة نميسة هو البيت الذي نخرج إليه في إجازاتنا ، وكان وجود الشيخ سعيد وهو رجل يقال إنه من سلطنة عمان كان يسكن في غرفة في منزلهم لما يقارب الأربعين عاما عرف بالصلاح وكان قارئاً نهماً فكان يقرأ كتب الفقه والسيرة النبوية والتوحيد لكنه قل ما يتحدث في مسجد أو في حلقات العلم ، لكن يبدو أنه كانت له أسرار ، فكثيراً ما تجد النساء والرجال في زيارته لطلب الاستخارة الولد ليساعدها بأسراره ومحاياته بعد عن عجز الأطباء ، وكان كثيراً ما يأتي له أقطاب الرياضة عندما يحتَدِم الدوري بين الهلال والمريخ. مَسجِد العالم عبد الباقي كان يشكل جزءاً من النشاط والحركة الثقافية والفكرية بالحي. العالم عبدالباقي كان أيقونة متفقاً حولها حج مع الوالد حجته الأولى في العام اثنين وسبعين (١٩٧٢) وكانت حجة مليئة بالأحداث الممتعة حيث ذهب للحج مع الحاجة بنت السيد والحاج عبدالقادر الطيب وكانت عبر البحر. عند رجوعه للخرطوم توفي العالم عبدالباقي وعند وصول الجثمان إلى داره أرادوا أن يدفنوه في مسجده وكان النساء يبكين ويصرخن فامتنع عنقريب الجنازة من الدخول رغم اتساع الباب حتى قام الوالد الذي حضر مع الجنازة بإسكات النائحات والباكيات بعدها استطاعوا أن يدخلوا الجنازة ، هذا حسب رواية المقربين.

في احدى سفريات القطار تحركنا من الخرطوم أنا والوالد فقط حيث حضر إلى الخرطوم لإجراء عملية فتاق في بطنه وأنا كنت في الصف الثالث بالمرحلة الابتدائية، وكان موسم الأمطار في أوجه في منتصف يونيو ، عندما وصل القطار منطقة الرهد أبودكنة وقف القطار وأعلن أن السكة قطعتها الأمطار في منطقة الحمادي وهناك حادث قطار في كبري الحمادي حيث سقط القطار في الكبري وعليه تم إلغاء السفرية إلى بابنوسة وعلى كل الركاب الإنتظار إلى أجل غير مسمى

أو التَصّرف، فحدث هرج كبير بين الركاب وكانت عربات القطار أكثر من عشرين عربة مليئة بالركاب من الداخل وكذلك السطوح ، كل هذا العدد تحرك إلى الأبيض بالبصات واللواري وقطار بضاعة آخر اتجه للأبيض ، فبعد ثلاث ساعات من الهرج والمرج سافر الجميع وأصبحت المحطة خاوية على عروشها وبقيت أنا والوالد وعدد قليل من الركاب وكان الوالد نتيجة لعملية الفتاق في بطنه لا يستطيع السفر بالعربات أو اللواري ، فانتظرنا لأيام في المحطة ومعنا ما تبقى من سائقى ومساعدي سائقي القطار لمدة أسبوع يطبخون ويذبحون الخراف على ضفاف ترعة الرهد أبودَكنَة ، وكانت هي المرة الأولى التي أرى فيها أنواعاً آخرى من المراكب مصنوعة من (الطرور) أو الفلين يسمى الطوف ونشتري الأسماك من الترعة، بعد أسبوع شعرت بالملل ولم يكن هناك أي أمل لعودة قطار ، فبينما أنا في هذه الحالة وفي الصباح الباكر عند صلاة الصبح وقفت أتأمل الوضع المجهول وذهبت لقضيب السكك الحديدية وجلست هناك والوالد نائم، وأثناء حيرتي فإذا بي أرى نوراً في الأفق لم اتبينه ، وانتظرت واقترب النور رويداً رويداً ، فتأكدت أنه قطار قادم لا أحد يعلم به حتى موظفي المحطة لأن الأمطار قطعت أسلاك التلفون ، ومن مكاني أسرعت وأيقظت والدي ليرى ذلك النور تأكد أنه قطار قادم من المجهول وأيقظ بقية الركاب وعندما اقترب القطار من أطراف المدينة قطع الشك باليقين وأطلق صافرته التي أيقظت الجميع ، وركبنا ذلك القطار وسط دهشة الجميع ، من أين أتى هذا القطار المتجه إلى بابنوسة ولم يكن معلناً، فلم يكن قطار ركاب بل خاصاً للموظفين ومأمور السكك الحديدية.

كل هذا الحراك بين المجلد والأبيض والخرطوم والدامر كان يمثل ثراء معرفياً وتنوعاً ثقافياً وبيئياً تعلمنا منه الكثير وكان له تأثيره وبعده في تشكيل شخصياتنا ونحن أطفال ، وأعطاني وإخوتي البعد القومي الذي جعلنا نحب أهلنا وأسرتنا الصغيرة ونحب السودان الواسع.

العلاج
والصحة العامة

العلاج والصحة العامة

الطريقة التي يعيش بها الناس تشعرك أنهم لا يمرضون كثيراً ومرض أحد الناس كان شيئاً نادرا يسمع به الجميع لأنه لم يكن المرض شائعا و القليل منه كان يعالج بشفخانة المجلد. شفخانة المجلد كانت مميزة عملت فيها الحاجة الرضية والمساعد الطبي محمد سالم وكانت شفخانة تعمل ببركة هؤلاء ويتعالج فيها كل الناس ، حالات نادره كانت تحول إلى بابنوسة والفولة ، كانت نادرة جداً فقد وضع الله البركة في ذلك المشفى الصغير...حتى الآن أذكر وابور التعقيم وصوته ورائحته وكيف كنا نرتعب ونخاف عندما ندخل غرفة الحقن البلاستيكية التي تستعمل لمرة واحدة حيث كانت تستعمل الحقن الزجاجية وتعقم الإبرة في ماء مغلي في حَلة موضوعة في وابور يعمل بالجاز الأبيض ، الرضية تخرج الحقنة بصورة نحسبها استعراضية أو يبدو لنا كذلك من شدة الخوف ، فتخرج واحدة وتدخل أخرى حتى تجد الإبرة المناسبة وهذه الفترة كانت مخيفة ويتوتر منها الطفل ويصرخ الأطفال أكثر من وجع الإبرة نفسها وتنتقل عدوى الصراخ لبقية الأطفال قبل أن يأتي دورهم للحقن ، فكانت عملية طعن الحقن شيئاً من أفلام الرعب وقد يمسك الطفل الفراشون وأمه أو أبوه لكي يتم حقنه مع الصراخ الشديد وأظن أن الحقن كانت مؤلمة أكثر من حقن اليوم خاصة حقن البنسلين ويستمر الألم لفترة بعد الحقن وكانت معظم الحقن في العضل ، إعطاء الحقُنة في الوريد أو الدرب كان يعتبر شيئاً خطيراً ومؤشراً على أن الحالة متأخرة .

الطلبة في المدرسة أحياناً يفضلون زيارة المستشفى بدلاً من حضور حصة الصباح التي غالبا ما تكون حصة رياضيات أو حساب خاصة إذا كان فيها تصحيح أو تمرين رياضيات أو تسميع لجداول الضرب ، يخرج الطلبة من طابور الصباح في صف طويل إلى الشفخانة وهناك يصطفون واحداً تلو الآخر يشربون من قارورة

واحدة بها محلول (السلفي) يعطى في كأس صغير من الطلس الذي تغير لونه من كثرة ما شرب به وأحياناً تكون به نقرات وطفقات بجانبه من كثرة ما مكث بالشفخانة، يعطى هذا الشراب لكل من أتى دون استثناء (دواء لكل الأمراض) الأدوية الحديثة ذات الألوان الزاهية والمغلفة بطريقة رائعة وذات المذاق الحلو لم تكن كثيرة ومعظم الأدوية والحبوب تكون في علب كبيرة أو زجاج كبير تعطى الحبوب في أوراق ملفوفة تشبه ورق التسالي. عندما لا يبدو على التلميذ أعراض المرض يعلق المساعد الطبي أمام بعض الأسماء بكلمة (مُتَصَّنع) ويقصد أن هذا التلميذ تَصَنع المرض وهذه تعتبر جريمة كبرى يجلد صاحبها ويحمل (فُورِي) يحمله أربعة من زملائه ويضربه الأستاذ.

رغم بساطة الوضع الصحي لم نسمع بمضاعفات كثيرة، خاصة في الولادات والوضُوع، الّداية المعروفة كانت فاطمة حسين ربنا يجزيها خيراً وكانت تعتبر خمس نجوم، عندما تحضر فاطمة حسين كأنك أخذت المرأة لمستشفى خاص وهي تقوم بالخدمة على أكمل وجه...وهناك كانت أيضاً بت بابو فاتح وهي كانت ذات سمعه طيبة. أذكر ذات مرة إحدى النساء في المنزل شعرت بآلام الوضوع أثناء النهار وكنت في العاشرة من عمري ومعظم الرجال في العمل فأخبروني ، أن نذهب إلى بيت فاطمة حسين في هذه الأثناء كان هناك ضيف في الصالون (الديوان) وهو منفصل عن مبنى النساء، كان رجلاً يرتدي عراقي بسيطاً وطاقية وهو مستلقٍ في قيلولته فأسرعنا له وأخبرناه أن امرأة في حالة وضوع تحتاج لداية ولا يوجد رجل في المنزل فخرج مسرعاً وكانت معه عربة لاندروفر (النوع القديم) فاسرع وأحضر الداية فانتهت حالة الطوارئ وشعر النساء بالراحة وأخيراً عرفت أن الرجل هو عبد الرحمن إدريس وهو رجل معروف في ذلك الوقت كان محافظاً لمديرية جنوب كردفان وهو منصب رفيع في ذلك الوقت عند زيارته لأي مدينة يُستقبل استقبالاً جماهيرياً وتخرج المدارس والطلاب بأعلام صغيرة في أيديهم ولافتات ترحيب ، فكان منصباً رفيعاً لكن أظنه في تلك الفترة كان في خلاف

سياسي مع نميري اتخذ المجلد ملجأً له. كان معظم النساء الحوامل يلدن مع بزوغ الصباح وصلاة الفجر لكن تلك كانت حالة نادرة أن تكون حالة ولادة بالنهار. عبد الله المساعد الطبي كان رجلاً خدوماً يحبه الناس وكان الناس يفضلونه على الأطباء الجدد في المستشفى الجديد (مستشفى البرِ) يشعرون أنه قريب منهم أكثر، وقتها لم يألف الناس التعامل مع المستشفيات الكبيرة والمعقدة كانوا يفضلون التعامل مع الشفخانة البسيطة ليشعروا ببساطة أمراضهم ، زيارة المستشفى تعني أن الأمر خطير يتطلب زيارة كل الأهل والجيران للكفارة.

عبد الله المساعد الطبي كان في السوق مع الناس عكس الأطباء الذين يأتون للمستشفى ويسكنون في ميز الأطباء بعيداً عن مجتمع المجلد في ذلك الوقت ، أخذ الناس فترة ليتعودوا على التعامل مع المستشفى. أذكر أني ذهبت إلى المجلد لقضاء الإقامة الريفية وأنا في السنة الخامسة كلية الطب في العام ١٩٩٩م وهي المرة الأولى التي أعود إليها بعد أن فارقتها في منتصف الثمانينيات ووجدت الناس محجمين عن التعامل مع المستشفى ولم يتعودوا عليه - فعندما علمت النساء في المجلد بحضوري للمستشفى تجمع عدد كبير منهن وانتظرنني تحت الشجرة في المستشفى لأفحص لهن الضغط والسكر ومنهن من أتت بشكاوى مختلفة ومنهن من أتت للتحية والمجاملة وشعورهن أن أحد أبنائهم أتي ليعمل بالمستشفى، هذا الموقف أكد لي أن البعد الاجتماعي أهم من الطبي في هذه المناطق ، وعلى الأطباء أن يهتموا بالجانب الاجتماعي ولا يضعوا أنفسهم في غرف مغلقة بعيداً عن المجتمع خاصة إذا كان المجتمع بسيطاً ومحافظاً.

أول طبيب فتح عيادة خاصة في المجلد هو د. كمبال بعدها أتى د. عجب الدور وأظن أن مستشفى المجلد بدأ ينسجم مع المجتمع بعد أن حضر د. عجب الدور كان من أبناء المنطقة فشعر الناس أن أبناءهم أطباء وجزءاً من مجتمع المنطقة. حالياً هو مدير جامعة كردفان ومعه فني المعمل السيد عكر، وبعدها بدأ الأطباء يأتون إلى المجلد وفتحت مستشفى البر .

و متابعة الصحة العامة كانت مختصرة على الجزارة ومتابعة اللحوم وأشياء غير معقدة حيث طبيعة المنطقة المفتوحة لم يكن هناك تصريف للمياه فكانت معظم مياه الأمطار راكدة في شكل برك تحيط بها الخضرة وأحياناً زهور الخريف فلم يكن ينظر لها الناس على أنها تلوث بل هي جزء من مظاهر فصل الخريف وتشكل منظراً خريفياً جميلاً يتغير هذا المنظر عندما تدخل بعض العربات إلى هذه البرك وتحولها إلى طين.

الجزارة تحت إشراف عبد الرحمن قرقج تتبعه كلاب الصيد الأربعة يأتي يومياً متفقداً الوضع وصوت حسين دقاش وقمر الدين وأبو شنيب وصوت تكسير اللحم كان يشعرك أن العالم كله اختزل هنا وأمام دكان الإسبيرات لإسماعيل جزلي مع قهوة الصباح وهو يهرش ويهزر مع كل من يمر أمامه بحب ومودة شديدة ، وعوض عطية يصلح ساعات سيكو اليابانية جوار اللبخة وسوق الخضار ...وقهوة أب سراويل وبشير صالح وبنجوز وقهاوي كثيرة كانت تعمل بصورة راقيه لا تحتاج لعامل صحة ولا كشف طبي ، الناس يعيشون هكذا ..البعوض كان أحد الإشكالات الصحية وكان معظم الناس يستعمل الناموسيات وأذكر أنه في الخريف كان هناك عامل يسمى عامل البعوض أحيانا يصب الزيت الراجع في البِرَك.

المواصلات
والاتصالات في المجلد

المواصلات والاتصالات في المجلد

تقع المجلد على طريق السكة حديد المؤدي للجنوب وهو على بعد محطتين من بابنوسة (مكاتب) محطة السكة حديد بالمجلد تشكل أحد منافذ المجلد من الشمال للجنوب أو الخرطوم شمالاً لكن بعد فصل الجنوب توقف القطار وأصبح نادراً ما يتحرك للركاب وكان يتحرك للبضاعة فقط إلى أن توقف نهائياً فكان اعتماد الناس على اللواري والبصات كانت محدودة.

الشاحنات واللواري في المجلد محدودة وكذلك السيارات قبل أن تفتح شركة شيفرون وتمتلئ البلد بالسيارات الأمريكية الكبيرة والسيارات الأمريكية الصغيرة، شيفرولية والجرارات الكبيرة (كان في المجلد يسمونها الكنور) والجرافات أو الكراكات والونش، قبلها كانت السيارات محدودة عند بعض التجار وتنقل البضائع إلى الأبيض والعكس، كان بشير التجاني له سيارتان فورد (تيمس)و بدفورد (سفنجة) وعبد الرحمن عبد القادر وكولي وإسماعيل جزولي وأحمد علي بشير، وعلي شمو وإسماعيل الأطرش ، وعبد الله إبراهيم وأحمد أبو شعير وعدد قليل آخر من سيارات الموظفين كضابط المجلس أو البوليس ومدير المدرسة. اللواري كانت تشكل حركة وحياة البلد وكان يكتب عليها أسماء معروفة (كولي) كان له لوري تيمس اسمه (ابن لوليتا) وكان مشهوراً (مركب ليه كوز) فعند دخوله في منطقة عردية كل الناس تعرف أن كولي وصل من الأبيض وعبد الرحمن عبد القادر كان له عربة سفنجة اسمها الزريقاء وكانت مشهورة جداً لونها أسود عكس المألوف فكانت العربات من نوعها لونها أزرق (ظهري).

الشاحنات واللواري كانت وسيلة المواصلات التي ينتظرها الناس للسفر للأبيض ويكون محظوظاً من وجد حجزاً في المقعد الأمامي ، لأن الغالبية كانوا

يركبون في ظهر اللوري إلى المجلد ، وكان اللوري لا يسير بسرعة أكثر من أربعين كلم في الساعة ويصل الأبيض في يومين وفي الخريف قد تطول المدة إلى أسبوع. الرحلة في الصيف تكون بطريق أبو زبد وهو أقصر (المجلد، الفوله، أبو زبد، السعاتة الزرقة والسعاتة بخاري، كدام أبو حراز والأبيض) أو بطريق آخر (جويغينة ، بابنوسة، أم طجوك (مومو) أم جاك ، الإضية ، الرويانة ، النهود ، الخوي والأبيض) .

شارع النهود كان أبعد وطويلاً ومعظمه رمال ، كانت هناك قيزان معروفة وصعبة مثل (قوز غنوم) ، كان لا يمكن أن تقطعه إلا عربة قوية ومساعد قوي (لكل لوري مساعدان كبير وصغير ، المساعد الكبير مسئول عن ماكينة العربة ويقوم بالأشياء الميكانيكية وأيضاً يساعد لسائق بالقيادة داخل المدن ، أما المساعد الصغير فمسئوليته الطباخة (يعمل الحلة ويسمى أحياناً مساعد حلة) ، كذلك مسئوليته أن يضع ألواحاً من الحديد الصاج للسيارة في حالة الوحل في الرمل (الصاجة) ، المساعد الجيد هو الذي يحمل هذه الصاجات ويضعها بسرعة تحت اللوري لكي يتخطى العقبات. والصاجات ألواح ثقيلة جداً تحتاج لشخصين ليحملوها لكن أحياناً المساعد القوي يحملها لوحده) . مهمة المساعد الصغير كذلك هي أن يملأ إطارات العربة اللوري بالطلمبة (طرمبة) وهي صغيرة وتحتاج لوقت طويل ملء الاطار قد يستمر لثلاث ساعات وتحتاج لقوة وجهد هذا قبل أن تجهز الشاحنات بجهاز لملء الإطارات (كمبرسون).

يركب الركاب في ظهر اللوري وتكون الراحة حسب نوع الشحنة في ظهر اللوري، إذا كانت الشحنة سكراً أو دقيقاً يكون اللوري مستوياً ومريحاً أما إذا كان مشحوناً بالكراتين وجركانات الزيت فتكون الرحلة مزعجة.

كانت هناك لوارٍ وبصات تعمل محلياً وكان لها دور كبير في حياة الناس ، العم أوشي كان له لوري لنقل الطوب وتراب المباني مكتوب عليه (الفنجري) وهو لوري قوي وغالباً ما يكون بدون كبوت (غطاء للماكينة) لتخفيف السخانة ولكن

عدم وجود الكبوت يجعل صوتها عالياً. ولتشغيل الماكينة هناك بكرة ، يجرها عدد من الرجال لتشغيلها وأحياناً يدفعونها دفعاً. في المساء يتركها في مكان عالٍ جوار المسجد ليسهل دفعها (دفرها في الصباح الباكر) ولأن البلد كانت آمنة جداً يتركها لوحدها وفي أيام المطر قد تجد بعض الأغنام والكلاب ترقد تحتها لتحميها من الأمطار.

(أوشي) كان رجلاً ظريفاً ، نأتي من المدرسة ونسأله عن اسم العربة فيقول سجعاً (الفنجري، لا سماحة ولا جري ولا خلقة بتنطري) كان يقولها وهو يضحك لكن الجميع يعلم كيف ساهمت عربة أوشي في بناء المجلد ونقل الطوب من الكمائن إلى وسط البلد. كانت هناك عربات لنقل الطوب والتراب، جعفر أبو شعير وحامد أبو شعير وكانت هناك بصات تنقل المسافرين بين المجلد وبابنوسة مثل بص ضحية وحسن بنز قبل أن يسوق عربه تجارية، وكانت بصات مهمة ينتظرها الناس ، فهي تأتي بالمسافرين وكذلك الخضار والفواكه من بابنوسة.

السائق اللوري في ذلك الوقت كان له مكانه خاصة محترم في قطاع واسع، ارتبط عمله بمعاش الناس، فهو الذي يأتي بالبضائع ويأتي بالأخبار ويحضر الخطابات وترسل معه المصاريف للطلاب لذا كان شخصاً مهماً وكذلك يرسل معه الناس أبناءهم وبناتهم للدراسة في الأبيض والفولة، السائق كان يعتبر مسئولا عن اللوري وما به من بضاعة وكذلك مسؤولا عن الركاب والمساعدين فهو يعتبر مؤسسة كاملة متحركة وله مطلق الحرية في التصرف والقرار، متى يقف ومتى يسير، بعض السائقين كانوا مهندمين ويلبسون الجلابية البيضاء ومركوباً غالباً ما يكون من جلد النمر ونظارة بيرسول ، ويستقبله الناس في القهاوي في المحطات في الطريق.

كانت القهوة عبارة عن راكوبة بها عدد من العناقريب الصغيرة منجدة بالحبل من(السعف) وتربيزة بها معدات المطعم عبارة عن مطعم ومعها تربيزة أخرى من الحديد وبها معدات القهوة والشاي .

أصحاب القهاوي كانوا يعاملون السائقين بصورة خاصة وباحترام شديد لأنه يضمن لهم الزبائن، لأن الزبائن يدخلون القهوة التي يقف بها اللوري، ولا يكون هناك وقت محدد للوقوف، قد يكون نصف ساعة أو أربع ساعات حسب مزاج السائق. ورغم أنه لم تكن هناك اتصالات لكن أصحاب القهاوي كانوا يتوقعون ويعرفون من سيحضر من السائقين في ذلك اليوم. إذا وصل اللوري في وقت الظهر فغالباً ما يقوم مساعد الحلة بطباخة تستغرق وقتاً إلى المساء وكانوا يطبخون بطريقة واحدة اسمها (القطر قام) وهي أن يضعوا كل المواد في حلة واحدة في وقت واحد وتطبخ وكان لها طعم مميز ورائحة زكية. كان السائقون كرماء جداً، حيث يشاركهم كل الركاب ما يطبخون لكن أحياناً تحصل بعض الطرائف كما يحدث مع السائقين أحد السائقين حين قام بطبخ وجبة وكان الركاب عددهم كبيراً جداً وكلهم كانوا ينتظرون تلك الحلة الصغيرة ، واحتار السائق ماذا يفعل، فنادى مساعد الحلة بأعلى صوته ومع هدوء المكان سمع نداءه كل من بالمكان، وقال له (لو انتهيت كب للحلة شوية من التمباك، فأخذ المساعد العِلَبة وسكب شيئاً أسوداً في الحلة) وأكد للسائق نعم أضفت التمباك (الصعوط) وبعدها وضع الأكل ونادى في كل الحضور أن تعالوا وتفضلوا الأكل، فامتنع كل الركاب عن المشاركة في الأكل وكان معظمهم من أهلنا المسيرية وهم يكرهون التمباك أكثر مما يكرهه بقية الناس ، وقالوا له (أكلك الكبيت فيه تمباك نحنا ما بناكله) وبعد فترة عرف الركاب أن ما كان في العِلَبة هو فلفل وليس تمباكاً وكانوا يضحكون من هذا المقلب ... من السائقين الذين أذكرهم أحمد جاز، وحسن بنز كان يقود إحدى سيارات بشير التجاني بعد أن ترك البص وعربة التراب وسائق آخر اسمه النجض كان يقود عربة للوالد ، وإبراهيم حسين وعبد القادر حسين وعدد من السائقين الذين كنا نحترمهم ونقدرهم، وكان من السائقين من يملك لورياً يقوده بنفسه، مثل مصطفى ود النعمة وكولي وعدد أذكر وجوههم لكن ضاعت الأسماء.

و هناك طرفة أخرى ، كما ذكرت أن بعض السائقين كان مهندماً جداً ، فحضر

أحدهم وكان يلبس لبسة سفاري ليس كالمعتاد حيث كان معظمهم يلبس الجلابية ونظارة بيرسون وكان ذلك الشخص يبدو أنيقا أكثر من المعتاد ، فدخل لأحد التجار المعروفين ودخل الدكان ، فاستقبله الرجل بحفاوة زائده لأنه كان يتوقع مسؤول الضرائب، فظنه هو موظف الضرائب، فجلس السائق أمام الدكان وطلب له شاياً من القهوة المجاورة ، وازداد توتر التاجر وحيرته أيضا وبدأ يرتب دفاتره وحساباته لمراجعة الضرائب وأرسل لترتيب وتنظيم المخزن، وعند الظهر طلب له قهوة زيادة في الضيافة وكان ينتظر من الزائر الغامض أن يفصح عن نفسه ولم يفعل ، فزاد توتر التاجر و تأكد من أن الرجل هو مسؤول الضرائب ما دام لم يتحدث إليه حتى الآن ، فأرسل الرجل الى أهل بيته طلب منهم أن يحضروا غداء فوق العادة فيه كل أطايب الطعام للضيف الصامت، فأحضرت الصينية الكبيرة ونادى التاجر من حوله من التجار في الدكاكين المجاورة كعادة التجار في المجلد كانوا يأكلون الغداء في متاجرهم ، ونادى على مسؤول الضرائب المزعوم ، وأثناء الغداء حاول الرجل أن يفهم الأمر فسأل السائق وقائلا له متى ستبدأ مراجعة الحسابات للضرائب ؟ فقال له السائق (أنا ما موظف الضرائب ، أنا سائق عربية ولدك في بابنوسة) وهنا ثار الرجل قائلا له « يعني إنت هسي من الصباح موترني بالطريقة دي وانت السواق ليه ما كلمتني من الصباح وقووم من هنا » .

المسافات في المجلد كانت قريبة من بعضها لا تحتاج لحركة بالمواصلات أو سيارة، حيث كل المناطق كانت على مرمى حجر ومسافات تصلها مشياً على الأقدام لكن بعض الناس الذين يذهبون للزراعة أو الصيد يحتاجون إلى وسيلة مواصلات ، فكانت وسيلة المواصلات الشائعة عند الكبار الحمار الريفاوي الأبيض الطويل، وكان كثير من التجار يمتلكون حماراً أبيض

يهتمون به ويذهبون به لزراعتهم القريبة ويعلفونه ويزينونه بحلقات مزركشة على الفخذين والقوائم الأمامية ، وتجد كثيراً من الناس لهم حمير عادية ، لونها رمادي (يسميه بعض الناس الحمار الدبلاوي) وهو بطئ الحركة لكنه قوي

ويتحمل، هناك هجين بين الحمار الريفاوي والدبلاوي وهو أسرع ويتحمل ويستعمل في حمل المياه والخرج من الدونكي. هناك نوع آخر من الحمير قد تجده مهملاً ولا يهتم به أحد ويحوم في الأسواق ويسمى (الأروق) وهو يكون له اعوجاج في أرجله الخلفية وأحياناً يكون بها جروح نتيجة احتكاك الأرجل في منطقة المفصل...وكان بعض التجار يشتري حماراً ويعلفه بالدخن والقش ولا يركبه كثيراً وبعد فترة يقوى الحمار ولا يرضى أن يقربه أحد، وكثيراً ما سمعت عن أحد الأولاد الصغار في عمرنا كُسرت يده نتيجة ل(فنجطة) حمار. وأذكر ذات مرة دخلت على راكوبة بها حمار وأمامه قش، وهو يأكل، فقلت في نفسي أجرب أن أركب ذلك الحمار وأنا لم أركب حماراً من قبل وهو طويل وعالٍ وكان منهمكاً في الأكل، فاستعنت بكرسي وركبت الحمار لكنه لم يتحرك، وأنا أضرب فيه وأحرك رجلي بقوة ، والحمار منهمك في الأكل وبعدها سكن عن الحركة وحرك أذنيه للخلف وأنا أضرب فيه ليتحرك ولم أشعر بنفسي إلا وأنا طائر في الهواء وقد ضربُ رأسي عرش الراكوبة وسقطت على الأرض بجانب رجليه الخلفيتين وأظلمت عيناي وأصبحت لا أرى من شدة الألم وبينما أنا في تلك الحالة أتبعها الحمار بضربة أخرى (جوز) لكنها أصابت الكرسي الذي استعنت به للصعود ، بسرعة سحبت حالي إلى الخارج ومن يومها لم أقترب من حمار من الخلف ولا من الأمام .

كان بعض التجار يركب الحمار ويهتم به خاصة الحمير الطويلة الريفاوية «من ريف دنقلا»...فأذكر أن أحد الرجال كان يركب على حمارة أنثى «أتان» وجلست مع مجموعة من الناس جوار المكتبة وكنت أستمع إليهم فهو كان يتحدث عن الحمارة وأصلها وأنها من نوع جيد وكان من الناس المعروفين يعمل في زريبة البهائم «سوق البهائم» فلاحظت أنه أقفل مؤخرة الحمارة بدبوس من النوع الذي يقفل ويفتح. فسأله أحدهم لماذا هذا الدبوس ؟ فقال إنه لا يريد أن يلقح أب حمار هذه الحمارة وهو قالها بلهجته المحلية «يعُشرّ» هذه الأتان فهو يختار حماراً أصيلاً ليقوم بالعملية ، فهذا الموقف استوقفني أنه إذا كان الإنسان لا يرضى أن

تنجب حمارته من أي حمار لا يعرف أصله وهو يختار لها الأصيل من الحمير فقلت في نفسي إذا كان هذا للحمار فماذا عن أولادنا وبناتنا ؟ يجب أن نختار لهم الأنفع والأصلح...هذا أيضاً تذكرته وأنا في سويسرا خلال دراستي حيث وجدت بعض الخواجات مولعاً جداً بتربية الخيول وله ملف كامل يحدث عن أصل وسلالة فرسه وكذلك هناك ملف عن سلالة الكلب ، ويستمتع جدا إذا سألته عن أصل فرسه أو كلبه ، ويحدثك لساعات، لكن عندما تسأله عن أصله هو وأسرته يتضجر ويعتبر أن الموضوع غير مهم وربما إتهمك بالتخلف والعنصرية.

من الأشياء التي أذكرها أيضاً أنه قد أحضر البيطرى في المجلد حصانين كبيرين طويلين جداً وبنى لهما إسطبلين وكانت هذه الحصين بداخله وتخرج رأسها من الأسطبل من فتحة كبيرة أكبر من الشباك وأقل من الباب قليلاً وكنا ونحن صغار نستغرب لحصين بهذا الحجم نشاهدها في طريقنا إلى المدرسة الجنوبية ، وعرفت بعد ذلك أنها حصين كينية أو هكذا قالوا ، والبلد كلها تتحدث عنها وعرفت أن البيطري أحضرهما لتحسين نسل الحصين ، وكل من له فرس يحضرها للبيطري مقابل مبلغ زهيد يكفي لعلف تلك الحصين وكانت فكرة جيدة وأظنها أضافت نوعاً جديداً من الحصين الجيدة بالمنطقة...لكن بعد فترة تذكرت تلك الحصين وأنها كينية واستغربت لأني لم أسمع أحداً يتحدث عن أن الحصين الكينية جيدة والشيء المعروف أن الحصان العربي هو الأشهر والمعروف ، لكن ربما كان لهم رأيُ آخر.

كان هناك رجل يدعى السنوسي يعمل بالسوق كان يربي الحصين، يشتري حصاناً هزيلاً ويعلفه ويشعر بالفخر أن الحصان استعاد عافيته على يديه وأصبح قوياً جميلاً ليبيعه بسعر أعلى ويشتري آخر وهكذا، فكان يمارس المهنة بحب ويعتني بالحصين.

وسيلة المواصلات للشباب والصبيان كانت العجلات أو الدراجات، كان الشباب يعتنون بدراجاتهم جداً، وكانت الدراجات نوعين يحضرونها من

الأبيض، العجلات الرالي (فونكس) وهي ذات عجلات رقيقة نوعا ما وتسير بصعوبة في الرمل وهي أرخص ثمناً والعجلات الدبل (أبو طيرة) ذات إطار سميك وتسير بسهولة في الرمل، ومن يمتلك عجلة من الشباب يزهو بها ويزينها بأنوار خلفية ويغلف مواسيرها بشريط كهرباء حسب اللون الذي يريده منظراً خارجياً وكذلك ليحمي دهان الشركة (البوهية)، ويضع غطاء للسرج ومرايات جانبية وأحياناً صافرة (بوري) يعمل بالضغط على أنبوبة سوداء وسرج خلفي ولوحة خلفية وأريل وبعضهم يضع صندوقاً خلف العجلة وبداخله راديو أو مسجل وتكون العجلة وتزيينها شغله الشاغل. كانت هناك عجلات مشهورة يعتني بها أصحابها، ومن العجلات الشهيرة في ذلك الوقت عجلة ختم (الضبيب) وكان من أشهر مشجعي فريق الشعلة وكذلك حماد هارون مشجع فريق الشباب وأيضاً من العجلات الشهيرة عجلة عليَ ضحوي أبو الجوك ، وكما ذكرت أن علي ضحوي هو أول من فتح محلاً للإكسسوارات وشرائط الكاسيت وكان يبيع أشياء لم تكن في سوق المجلد وفتح المحل في حاوية (كونتينر) جوار البسطة وأيضاً من العجلات الشهيرة دراجة التوم محمد مكتوب عليها (٢٤ معاك لآخر السكة) لا أعلم ماذا يقصد بذلك ، وآخر كتب يا لطيف وآيات من القرآن ويس وهكذا. وكان الناس يعرفون هذه الدراجات بما يكتب فيها كما العربات وهناك خطاطون احترفوا تلك المهنة وأظن أن العجلات وجدت رواجاً في المجلد لسهولة قيادتها في أرض المجلد وكذلك لأن هناك محلات كانت تعمل على إيجار العجلة ويتعلم الأطفال ركوب العجلات من الصغر (يحيى كرامة ويوسف محمد نور) وكان إيجار العجلة له قوانينه وأدبياته وإذا تأخر الطفل عن الوقت المسموح به يغرم بعض المال ولم يكن يحتاج إلى تعريف أو بطاقة حيث كل الناس كانوا يتعارفون ، محل العجلات تجد فيه عجلات لكل الأعمار، فكان أقرب إلى الملاهي المفتوحة ومعظم الأطفال يقضون الوقت يلهون بالدراجات في الميدان أمام البوسطة .

كان بعض الشباب يذهبون بالدراجات إلى أماكن بعيدة ، حيث يذهب بها البعض إلى بابنوسة ومنهم من يذهب بها لصيد الوزين والأرانب ومعهم كلاب الصيد، وقد يذهبون في مجموعات للرحلات والنزهة إلى مناطق حول المجلد، جويغينة وبوطة الوزين. من الأساتذة الذين اشتهروا بقيادة الدراجة الأستاذ محمد جلال الدين وهو كان مدير المدرسة في ذلك الوقت وكان رجلاً محترماً حيث ارتبطت قيادة العجلة ببعض الأفندية فكان بعض الافندية يركبونها دون أن تؤثر في صورتهم العامة في المجتمع وهذا ذكرني الهولنديين عندما ذهبت لهولندا لدراسة الماجستير وجدت أن كل الناس تقود الدراجة البروفيسور والطبيب والطالب ورئيس الوزراء والكل دون أن تؤثر في مكانتهم الاجتماعية بل كان كل المجتمع أنيقاً غير مترهل بالشحوم ولياقتهم عالية. ارتبطت العجلة للطلاب بأنها هدية لدخول المرحلة المتوسطة فكان معظم الطلبة يركبون الدراجة وتحدد إدارة المدرسة شجرة تقف فيها دراجات الطلاب وشجرة أخرى لدراجات المعلمين وتكون دائماً دراجات المعلمين قريبه من المكاتب. الدراجة في المتوسطة تكون من النوع الكبير «الدبل» وبعض الطلاب لم يبلغ الطول بعد، فتجده يدخل رجليه بين مواسير العجلة ويسوق حتى يبلغ الطول المناسب وبعضهم لا يستطيع أن يجلس على السرج فيجلس على ماسورة العجلة أو يخفض السرج جداً حتى يستطيع الجلوس عليه وقد لا يصل البدال لكنه يدفعه دفعاً حتى يبلغ الطول المناسب.

عندما دخلت المتوسطة أحضر الوالد لي عجلة وكانت جديدة وفرحت بها فرحا شديداً وقبل أن أركبها أحضرت لها لوحة كانت توضع خلف السرج وكتبت عليها (حسبنا الله ونعم الوكيل) لكي لا تصاب بالعين وكنت لا أكاد أصل البدال فكنت أجلس على ماسورة العجلة وأدفع البدال دفعاً برجل واحدة، لكن ما أن يكمل الطلاب الفصل الدراسي الأول حتى تظهر عليهم علامات البلوغ والمراهقة فترتفع قاماتهم وتتغير أصواتهم وكلهم يمكن أن يركبوا الدراجة وأرجلهم التي طالت كما الكبار . وكان هناك من التلاميذ الذين يحضرهم أهلهم

من الضواحي ويكونون من الرحل فمثل هولاء قد يأتي إلى الابتدائية وهو بعد العاشرة من عمره حتى يتمكن أن يسكن في داخلية المدرسة ويقوم بأشيائه الخاصة وعندما يدخل المتوسطة يكون قد اكتمل عوده وظهرت عليه ملامح الرجال.

البريد والاتصالات كانت بوستة المجلد هي محور الأخبار والتواصل، عندما يأتي خطاب أو جواب عبر البسطة يسمع به معظم الناس وكان الأستاذ جبير مسئولاً من البسطة والحاج كريج مسئول الكبانية وكانت كبانية بها اثنا عشر رقماً فيقوم الحاج كريج بربط التلفونات ببعضها، فكان الناس يتصلون على الكبانية أولا لتربط المتصل بالرقم الذي يريد في المجلد أو خارج المجلد إلى أي مدينة أخرى في السودان وأحيانا خارج السودان إلى دبي أو لندن، فأذكر أنه كثيرا ما تحدثنا من المجلد إلى لندن وكانت الأسرة تجتمع كلها لتتحدث واحداً تلو الآخر في المناسبات. التلفون يتصل بأعمدة وأسلاك تسير مع خط السكك الحديدية وكثيرا ما يقطع الخط نتيجة لتساقط أعمدة التلفون نتيجة للأمطار أو أحيانا بعض الناس في الطريق بين الفولة وأبو زبد يقطعون تلك الأسلاك ليستفيدوا منها في صنع أواني النحاس ، وغالباً ما يقطع التلفون لأيام معدودة لأن هذا الخط يعتمد عليه في السكك الحديدية وتسيير القطارات. كانت البسطة أيضاً تحضر التلغراف وهو عبارة عن شفرات صوتية يستقبلها الفني المختص وعادة تكون كلمات بسيطة ومختصرة وعادة يستعمله المواطنون في إرسال خبر الوفيات والمواليد وأحياناً التجار في حالة إرسال بضاعة أو سلعة. هناك نكتة عن التلغراف وهي أن أحد التجار أرسل رسالة لتاجر آخر يخبره أن (الدبابات جاهزة للشحن) وأتت الرسالة في وقت تزامن مع أحد انقلابات مايو ويستقبلها الأمن ويستدعون التاجر ويستجوبونه عن الدبابات ومن أين أرسلت ؟ واستجواب يشيب له الرأس وبعد نهايته أخبرهم التاجر أن هذه الدبابات هي موضة جديدة من الأحذية عالية كانوا يسمونها الدبابة وخرج تاجر الأحذية بعد أن أمضى وقتاً مقدراً مع رجالات

الأمن. ونموذج المجلد في الاتصالات يوضح أن هذا البلد كان مربوطا بشبكة من الاتصالات رغم أن التكنولوجيا لم تكن في أوجها لكن رغم اتساع السودان في ذلك الوقت كان به نظام اتصال فاعل وناجع.

النشاط الثقافي في المجلد

النشاط الثقافي في المجلد

النشاط الثقافي في المجلد كان يسيطر عليه المسجد الكبير حيث كل النشاطات تبدأ منه خاصة الندوات وزيارات الشيوخ من مدن السودان المختلفة وكذلك من العالم وكانت تأتي قوافل من الجامعات والمعاهد من مدن السودان المختلفة.

كانت المجلد تأتيها السينما المتجولة وتنصب في الميدان أمام المجلس وجنوب الدونكي وكان معظم سكان المجلد يخرجون من بيوتهم في الليالي القمرية لحضور العرض وكانت تتجول السينما في لاندروفر وقبل العرض يتجول في البلد بالميكرفون ليعلن للعرض المسائي ، أذكر من الأفلام التي حضرتها فلم عمر المختار وكذلك أذكر عرضاً لحديقة الدندر وفلم الرسالة. أظن أن سينما بابنوسة كان مخططاً لها أن تبنى في المجلد لكن تصدى لها بعض أعيان المجلد وخطب خطيب الجمعة وسماها (السوء نما) وأعلنت المجلد رفضها لبناء السينما في المجلد فتم تحويلها غلى بابنوسة حسب الرواية.

التلفزيون لم يدخل المجلد حتى خروجنا منها في بداية الثمانينيات، أذكر أن العميد شرقاوي قائد الحامية في ذلك الوقت كان يزور الوالد بانتظام في البيت وكانت تلك بداية ظهور الفيديو وأشرطة الفيديو وكنا نحن نذاكر بكثافة طوال الأسبوع أثناء الدراسة، في إحدى أيام الخميس أحضر شرقاوي تلفزيوناً وفيديو وكانت الكهرباء في البيت من وابور لستر وأذكر أن تركيبه وتشغيله كان سهلا لأن شرقاوي بإعتباره قائداً للحامية أحضر معه اثنين من العساكر ليقوما بتشغيله وسمع الجيران والأولاد وحضر كل الجيران ومن في الحي وامتلأ البيت وساحته بالنساء وأطفالهن الصغار ، وعرض فيلم لعادل إمام وكان عرضاً غريباً لأن الفيلم كان عاطفياً وكان الحضور يشاهد بين الدهشة والحيرة لأنهم لم يعتادوا على مثل

هذا العرض العاطفي جدا، ووسط صمت ودهشة الحضور انتهى الفلم وخرج العدد الكبير من النساء والأطفال وكثير منهم لم يشاهد عرضاً تلفزيونياً أو فلماً قبل ذلك اليوم.

كان الناس مولعين بأشرطة الكاست ، معظم البيوت بها مسجل وكذلك المطاعم والبوتيكات ، وكنت اذكر أحد محلات الملابس في السوق جوار عبدالله الزين كانوا يحضرون الملابس من مليط وتشاد كنت دائماً أجد أغاني خليل إسماعيل وأنا لم أكن أعرف المغني لكن كنت أعرف الموسيقى واللحن ومن كثرة ما سمعته اقترنت عندي هذه الموسيقي بالبوتيك وظننت أن هذا الفنان من شاد أو غرب أفريقيا وأخيرا عرفت أن الفنان هو خليل إسماعيل وأصبحت من معجبيه له ذكرى خاصة اقترنت بالطفولة....

الراديوكان يمثل المنفذ الرئيس للعالم الخارجي، كان الناس مولعين جداً بإذاعة لندن، ومعظم المهتمين يفتحون الراديو في الساعة الثالثة على الموجة القصيرة . وكانت القهاوي هي المناطق التي يتجمع حولها الناس لسماع الراديو وكذلك تحت شجرة اللبخ الكبيرة غرب المسجد. ليس كل الراديوهات تستطيع أن تجد الموجة بوضوح فكان الراديو ناشونال والراديو سوني أكثر الراديوهات شهرة في ذلك الوقت وكان هناك راديو ومسجل فورميكا مشهور أيضا. لتقوية إرسال الراديو أحيانا يربط سلك هوائي الإريال. كان صوت الراديو له وقع مميز خاصة في الظهيرة ومع هدوء الحركة في منتصف النهار وأيضاً في المساء الثامنة والتاسعة مساء. كان الناس يعرفون مذيعي إذاعة لندن من أصواتهم ونبراتهم وكانوا يشعرون بنشوة خاصة عندما يسمعون صوت أيوب صديق من الإذاعة البريطانية ويكاد كل من تجلس معه أن يذكر لك ما قاله أيوب صديق في أول يوم له في الإذاعة البريطانية «بلادي وإن جارت على عزيزة وأهلي وإن ضنوا علي كرام» ويقولها لك الواحد منهم بيقين تام من صحة الرواية وبفخر تحسه من نبراته وتعابير وجهه، ليس لك أن تجادل في صحة الرواية. كانوا يعرفون عدداً من

المذيعين بالإذاعة البريطانية وكذلك يتابعون عدداً من البرامج في الإذاعة البريطانية وهي برامج ذات جودة عالية ك(قول على قول) لحسن الكرمي وغيره من البرامج . كانت الإذاعة البريطانية تهتم بالسودان والشأن السوداني ، وكذلك في البرامج فكثيراً ما تجد السودان حاضرا في برامج متنوعة ، لا أعرف هل كان ذلك لتوجه المحطة العام أم كان نتيجة لأن عدداً من السودانيين يعملون بالإذاعة البريطانية . وكان منهم أيضاً الأديب الطيب صالح في الإعداد البرامجي. وفي المساء ومع هدوء الحركة بعد العشاء مباشرة يأتيك صوت عدد من الإذاعات العالمية ، صوت أمريكا ومونت كارلو وصوت ألمانيا وأحيانا إذاعة روسيا.

كان الناس يستمعون لعدد من البرامج الثقافية في الإذاعات المختلفة، من أبرز البرامج السياسية (بين السائل والمجيب) بإذاعة **BBC** ويتابعه الناس بشغف ويرسل البعض عبر البريد من المجلد أسئلتهم وخلال خمسة عشر يوماً يسمعون أسئلتهم ، وتجد الناس متحلقين حول الراديو أو في القهوة ويصرخون بطريقة كأن (المريخ أحرز هدفا في الهلال) وعندما تسأل تجد أن أحدهم سمع سؤال أحد أصدقائه من المجلد. إذاعة الكويت كان بها برامج ثقافية متميزة خاصة في الظهيرة وكانت من الإذاعات الواضحة جداً. أيضا الناس يستمعون لبرنامج من إذاعة السعودية يسمى (نور على الدرب) وكان برنامجاً فقهياً يجيب على الأسئلة فيه عدد من العلماء ، والبرنامج ذو طابع سلفي فكان بعض الصوفية في المجلد لا يحبونه. إذاعة صوت العرب ووادي النيل من مصر تسمع مساء ، كانت تتميز بلقاءات مع كتاب ومثقفين سودانيين وتبث الأغاني السودانية خاصة لسيد خليفة وعائشة الفلاتية وأبو داود . وأيضا إذاعة إثيوبيا كان لها برنامج أسبوعي كل يوم أحد ، يبث الأغاني السودانية خاصة للفنان محمد وردي وكان برنامجاً متابعاً وأظنه يستقبل أيضا طلبات بالبريد، استمر هذا البرنامج حتى بعد أن ساءت العلاقات بين نميري ومنقستو ، فقد حافظ البلدان على العلاقات الثقافية.

إذاعة أمدرمان كانت من النادر أن تسمع أثناء النهار ومعظم الناس يسمعونها

مساء وتسمع عادة على الموجة القصيرة وباستعمال أريل هوائي بتركيب سلك على عصا طويلة من القنا، تحتاج لمهارة عالية لضبط الموجة وأنا كنت في التاسعة من عمري وأقوم بضبط الموجة للوالد وأصبحت ماهراً جداً في معرفة الموجات وأحياناً أعلمها بالقلم على شاشة الراديو المستطيلة لأرجع إليها مرة أخرى . كنت أساعد جدي أيضا وأذكر من المواقف بعد إسقاط حكومة مايو توقع الناس أن يكون نهاية للتمرد وانتظر الناس خطاباً من جون قرنق يعلن فيه موقف الحركة من الانتفاضة فكنت وقتها في الصف الخامس الابتدائي وحضرت من المدرسة بعد نهاية اليوم الدراسي في الظهر فوجدت جدي لأمي بشير التجاني ومعه عدد كبير من أصحابه في السوق وبعض من ضباط الحامية بالمجلد منتظرين الخطاب وكانت للحركة الشعبية إذاعة خاصة وأظنهم حاولوا كثيرا وفقدوا الأمل وحضرت أنا وأحضرت عصا طويلة من القنا وسلكاً وبحركة بسيطة على الموجة استطعت أن أجد الموجة وقد شعرت وقتها بشعور كأني «اكتشفت الذرة» والجميع أثنى على هذا الإنجاز الكبير في نظرهم لكن تفاجأ الجميع بجون قرنق يصف الانتفاضة بالمخطوفة وأن العسكر الذين استلموا السلطة لن يسلموها ووصف الموضوع كله بأنه لعبة عساكر ولعبة سلطة وراهن على أن هؤلاء العساكر ي(قصد المشير سوار الذهب) وزملاءه لن يسلموا السلطة. وأعلن مواصلة القتال وفعلاً واصل القتال لكن تفاجأ بأن سوار الذهب سلم السلطة في موعده الذي قطعه.

كانت إذاعة أمدرمان تسمع ليلاً متقطعة وبعد الفجر ، وكان أكثر ما يميزها إذاعة الوفيات وكنا نستمع إليها بذعر لأن إذاعة الوفيات تأتي بشكل مفاجئ وكثيرا ما تفاجأنا صباحا بأحد أفراد الحي يحمل حقائبه متجها لموقف اللواري في انتظار وسيلة مواصلات لأنه سمع للتو بالراديو بأحد أقاربه في الجزيرة أو الشمالية قد توفاه الله.

فتح الأستاذ عبدالملك دعاك مكتبة في العام ثلاثة وثمانين (١٩٨٣) وسماها

مكتبة المجلد للثقافة الإسلامية كان موقعها جوار مسجد المجلد الكبير، أول مكتبه تجلب الكتب الثقافية والمجلات العالمية والجرائد اليومية التي تأتي بطائرة شيفرون. كانت تجلب المعدات المكتبية من مصر، كان والدي يطلب من الأساتذة المصريين الذين كانوا يدرسون بالمدرسة أن يحضروا البضاعة من مصر في إجازاتهم، وكذلك بعض الأساتذة الإنجليز الذين درّسوا في المجلد الثانوية (عردية) وكانت المكتبة مُتَنفساً كبيراً خاصة للمثقفين الذين وفدوا للمجلد عبر شيفرون والحامية حيث فُتحِتَ الحامية في المجلد وكان هناك عدد من الضباط أتوا وعدد من العاملين بشّفرون والأساتذة، كانت المكتبة مثل النادي الذي يرتاده المثقفون وكنت أنا ابن الحادية عشرة أُدير تلك المكتبة ، وكنت لكي أعطي فكرة عن الكتاب أو الكتب الجديدة أقرأ الكتاب أولاً وكنت أجد متعه في ذلك خاصة أن عدداً من مُرتادي المكتبة هم أساتذتي ، فقرأت عدداً من الكتب الكبيرة في ذلك الوقت مما حبّب إليّ القراءة. من الضباط الذين حضروا في ذلك الوقت شرقاوي وشنيبو والباشا وخلف الله وأخيراً انضم إليهم الرئيس الحالي عمر حسن أحمد البشير الذي أتى قائداً للمنطقة وكذلك الجنيد وعدد آخر أذكرهم حتى الآن من وجوههم. كان بيت مدير السكك الحديدة / ود راوة (عبدالكريم أحمد عبدالكريم) في المجلد هو نقطة لقاء كثير من الموظفين الكبار الوافدين إلى المجلد ، حيث عُرِف ود راوة بكرمه الفياض وبيته كان قبلة لكل الموظفين من أنحاء السودان ، وكان يسمى بيته بالهوتيل من كثرة الضيوف وكرمه الفياض والسيد ود رواة هو شقيق مدير عام الشرطة الفريق أول (شرطة) الأديب المرحوم / إبراهيم أحمد عبدالكريم وهو رجل أديب كانت له برامج إذاعية وتلفزيونية وهو أصلاً من منطقة ود رواةوعبدالكريم كان ناظراً لمحطة السكك الحديدية بالمجلد لفترة طويلة وكان كريماً ودوداً أحب المجلد وأهلها فبادلوه الحب والوئام وكان منزله في المحطة فيلة للأنس والسَمَر .

رجال ونساء
شكلوا ملامح المنطقة

رجال ونساء شكلوا ملامح المنطقة

مجتمع المجلد كان مجتمعاً مسامحاً، ورغم صغر المنطقة في ذلك الوقت كان الهم الأكبر للناس هو التعليم و الاهتمام بأولادهم وحثهم على الدراسة أهم سماته أن الأطفال لا يتعرضون للكثير الذي يلهي عن الدراسة ، لا ألعاب كمبيوتر تلهي ولا تلفزيونات تزعج وكان المجتمع صغيراً يعرف الكبار صغاره والعكس ، لذا الطفل كان مراقبا من الجميع وأي خطأ يصحح من الكل ، لذا تخرج منها رجال عرفوا بالهمة العالية ونجاحاتهم مشهودة وخرج رجال متميزون على مستوى السودان والوطن ولهم مساهماتهم العالمية وأسر كبيرة أسهمت في بناء السودان الكبير ، فقد جعل الله البركة في أبنائهم نتيجة لذلك الحب ، ومنهم أبناء الناظر بابو حيث نشأوا قدوة لباقي الأسر ، الفريق مهدي بابو الذي تقلد مناصب في الجيش ووصل حتى أصبح وزيرا للدفاع ووزيراً للصحة. وأذكر في حديث معه عرفت أنه درس الثانوي ببورتسودان وأحرز درجة أدخلته القانون بجامعة الخرطوم أو الاقتصاد لكنه فضل أن يدخل الجيش وخيراً فعل حيث إنه أصاب نجاحاً في الجيش، وأيضا وجوده في الجيش كان معززاً لموقف المسيرية ووقوفهم درعاً واقياً لمناوشات الجنوبيين، وو قوفهم في وجه المد الجنوبي في منطقة أبيي، وأبناء علي الجلة ومجاهداته المعروفة مع المهدية وأبناء الناظر علي نمر وفضيلي جماع وهو شاعر ارتبط اسمه بالمجلد وعلى جماع كان نائب حاكم إقليم كردفان في فترة الديمقراطية الثالثة وبعدها تقلد مناصب قيادية في الأمم المتحدة ، والأستاذ محمد دردير كان من القلائل الذين يجيدون

اللغة الإنجليزية أظنه كان معلماً للغة الإنجليزية وبروفيسور جلال الدقير الذي تخرج في مدرسة خور طقت ودرس الطب بجامعة الخرطوم ومنها تخصص في بريطانيا في علم الأمراض وكانت له إسهاماته السياسية متقلداً رئاسة حزبه وتقلد

عدداً من الوزارات ثم مساعداً لرئيس الجمهورية وعرف بإسهاماته في المنطقة وحبه لأهل المجلد وتعاونه ومساعدته لكل أهل المنطقة والأستاذ محمد يوسف الدقير الذي كان مديراً لمكتب الحاكم في كردفان وتقلد مناصب كبيرة في إسبانيا مسئولاً عن دائرة الشيخ زايد بإسبانيا والآن وزيراً للثقافة رجل مفوه امتلك ناصية اللغة العربية والبشمهندس عمر الدقير الذي قاد الانتفاضة ضد الرئيس نميري عندما كان رئيساً للاتحاد بجامعة الخرطوم في منتصف الثمانينيات وأخوهم معاوية يوسف الدقير الذي عرف بالذكاء المتقد الحاد ، ومعروف أن أسرة الدقير من الأسر الناجحة نسأل الله لهم الحفظ وكذلك هاشم يوسف الدقير الرجل الاقتصادي الذي له عدد من الشركات وعلاقات متميزة وأسرة عبد الرحمن عبد القادر من الأسر الناجحة في مجال التجارة والاقتصاد، ومن مشاريعهم شركة كامب سيرفس التي أسسها عبد القادر عبد الرحمن وكانت من المشاريع الكبيرة ذات فكرة متقدمة وأخوه حسبو الذي كان يعمل في المحاصيل وله تجارة دولية وبقية إخوانه لهم شركات ونجاحات متعددة ، والدهم عبدالرحمن عبدالقادر رجل عرف بالاستقامة والوضوح وكانت له مواقف طريفة كثيرة في تعاملاته مع الناس ناتجة عن فرط استقامته في التعامل مع الناس وبروف عبد الله عبد الكريم علم من أعلام الطب في السودان وأسرته المتميزة ، وعبد الرسول النور إسماعيل من الشخصيات السياسية التي لمعت وعرفت في المنطقة رجل أديب عُرف بالاعتدال في السياسة وله مساهمات قومية وباحث في الأدب والتراث ، كان محل ثقة

من أهل المنطقة فقدموه للانتخابات في دائرة المسيرية . الأستاذ أحمد الصالح صلوحة كان يتميز بالهدوء فزاع صيته في انتخابات الجبهة القومية منتصف الثمانينيات كان معلماً بالمدرسة المتوسطة علم أجيالاً متعاقبة بالمجلد. أولاد الأسيوطي وصالح الحلو وأسرة الأمين الدسوقي حيث كان لمساهمات السفير أحمد تجاني دور في مساعدة عدد من أبناء المجلد والمسيرية والأسرة للدراسة في

دولة باكستان وأيضا أخوه أبوبكر الصديق الذي تقلد مناصب قيادية كثيرة منها إدارة المعاشات في السودان وأسرة أبو شعير ونجاح قطار شيخو أحد المشاريع الناجحة ومساهمته في تطوير المنطقة والاقتصاد وكذلك طيران بدر لأولاده عثمان أبو شعير وشركائهم. أولاد بشير التجاني حيث عملوا على مساعدة ودعم التعليم والمساجد في مناطق مختلفة بإسهاماتهم الكبيرة خاصة في فترة عملهم في ترحيل الإغاثة بواسطة أولاد بشير التيجاني الذي كان تاجراً بالأبيض والفاتح بشير التجاني وصالح بشير التجاني الفاتح درس العلوم السياسية في باكستان وأسس شركة محمدالفاتح للنقل التي عملت على نقل الإغاثة وحققت نجاحات كبيرة له وللأسرة وكذلك الشيخ صالح بشير التجاني الذي درس هندسة الطرق في باكستان وكانت من الدراسات الغالية والنادرة في ذلك الوقت أنشأ شركة شكران للنقل التي عملت في مجال الإغاثة ، بشير التجاني له من الأبناء د.كباشي وحافظ وعوض وكل له إسهاماته . كذلك أبناء محمد مدني والدكتور مدني من أعلام طب العظام في بريطانيا والسودان وأبناء أبو شنيب وأولاد عبد الله أبو حريبة الذين ولجوا إدارة البنوك في السعودية والسودان.

من خارج المجلد الميرم والدبب والبتون هناك رجال كان لهم تأثيرهم شيخ يونس من الميرم وشيخ الشنقيطي بالتبون الشيخ عبد الرحمن والد نجم وأحمد، ومن الدبب حسن صباحي وهو من أولاد عمران وقيادات المنطقة ومن أعيان المجلد ومن القيادات المعروفة ورجل أعمال معروف على مستوى العاصمة وكذلك فكي نواي من أولاد توبا وهو رجل أعمال له إسهاماته ومن البتون الدرديري محمد أحمد الذي درس كلية القانون بجامعة الخرطوم وزير الخارجية الحالي في المنطقة وهنا أريد أن أذكر أول من درس الطب من أبناء المنطقة وأتحيز قليلاً لقبيلة الأطباء يأتي في مقدمة أوائل من درس الطب ، د. خليفة عبدالرحيم ود. بشير إبراهيم مختار الذي درس في كلية الطب ود. عبدالله عبدالكريم جبريل ، د. آدم أحمد علي بقاري ود. جلال يوسف الدقير ، د. عاصم بابو نمر ، د. مدني محمد مدني ود. عبدالكريم جبريل القوني ، د. بقادي النور إسماعيل ، ود. أبو

القاسم أحمد عبدالله الجالي وآخرون ، كل هذه الأسماء هناك من أعرفه وتربطني به علاقة ومنهم من سمعنا عنهم بأسمائهم وكانوا محفزاً لنا لتواصل مسيرة التعليم ، ومن الخريجين ، حسن ود حسين وآدم عمر دوكي ومن البياطرة د. إبراهيم مختار «ود الداية» وآخرون كثر.

كان هناك عدد من الشباب الذين تميزوا أكاديمياً وكانوا أوائل للدفعة في وقت كانت المنافسة فيه عالية ، البروف محمد إمام ، د. حمدون البشرى ، د. الغزالي جمعة ، د. محمد أحمد عبد الله، وأبناء مصطفى النعيم ودكتور أحمد عبد الملك دعاك وهو أستاذ بجامعة الخرطوم وكذلك بجامعة هارفرد إسهاماته في عمل البحوث العلمية في أمريكا ونورالدين عبد الملك ومساهمته في التجارة في كردفان وعمله مع شركات عالمية ومحلية وآخرون كثر. أسر كثيرة نجحت لا تسع ذاكرتي ذكرهم جميعاً نسأل الله أن يحفظهم جميعاً.

كما ذكرت رجالاً تميزوا كان هناك نساء تميزن منهن ، فاطمة حرقاص امرأة علمت أجيالاً وبناتهن الآن في القيادة ، ونساء النظار والأستاذة رقيه الأمين الدسوقي كانت من المعلمات اللائي علمن أجيالاً في المجلد والسعودية واصلت مسيرتها في الخرطوم. أستاذة بغارة حميدة من المعلمات اللائي شكلن ملامح التربية في المجلد والأستاذة خدوم من النساء الكبيرات : الحاجة فاتتي والدة بروفيسور عبد الله عبد الكريم وكان لها حق الفيتو لتوجيه أي طفل تجده يتصرف بطريقة غير سوية فكنا كأننا في بيت كبير وفيه آباء كثر يعيشون دون مشاحنات والحاجة حرم التجاني زوجة يوسف الدقير وآسيا زوجة بشير التجاني وفاطمة عبيد وآسيا بت كدفور كانت مشاركة في كل المناسبات، ونبيهة زوجة عبد الرحمن عبد القادر وربيعة زوجة الأسيوطي وزينب زوجة صالح الحلو وفاطمة أحمد حامد وخديجة الغزال. حوا لقاوة كانت هي الكوافير المتحرك كانت تمشط النساء وتعتبر خدماتها غالية ليس في مقدور كل النساء أن يحظين بها، عند حضورها البيت يجب أن تجهز الحنة والضيافة بصورة مرضية وكانت عادة

المشاط قد تستمر ليومين أو ثلاثة ، سيدة زوجة علي شمو كانت من النساء القياديات للمرأة بصورة أشبه باتحادات المرأة تقام في بيتها اجتماعات وعائشة بت خير الله والشيمة .

أذكر أن هناك نساء كن مشاركات ولهن وجود في الحياة اليومية للناس، عائشة عوض ، وأدج زوجة معالي، وكلثوم أداو ، وجانقول، وعجب زوجة أوشي ونساء كثر...

هذه نماذج لبعض النساء اللائي كان لهن تأثيرهن كل منهن في مجالها ، الشخصيات كثيرة والذاكرة لا تسعفني لأذكرهن جميعاً أرجو أن يعذرني البعض إذا لم أذكر كل الأسماء من الرجال والنساء يكفي أن نذكر نماذج من ذلك المجتمع المتميز وهناك بيوت ومنازل فيها أكثر من نفر له إسهاماته فلم نذكرهم جميعا ذلك المجتمع الذي نشأنا فيه وكان له دور في تكوين وجداننا ومعرفتنا وذاكرة الطفولة.

ظرفاء مدينة المجلد

ظرفاء مدينة المجلد

حال كثير من المدن والمناطق في السودان لم تخلُ المجلد من ظرفاء المدينة والبدلاء الذين يستأنس بوجودهم الناس ، وهم مصدر من مصادر رحمة رب العالمين ، وجودهم بين الناس يشعرك أن النسيج الاجتماعي مكتمل وأن هذا هو النمط الطبيعي للحياة فكان في المجلد عدد منهم وكان بعضهم نجوم مجتمع ولهم اسهاماتهم الاجتماعية منهم :

شروم: شخصية معروفة ومحبوبة، كان يعاني من شلل رعاشي، لكنه واعياً يجوب السوق برجليه، ويزور كل التجار في محالهم التجارية كان في رمضان يوقظ الناس للسحور ويضرب على النوبة ، يا صايم قوم اتسحر، وكان هذا عملاً له قيمة كبيرة في ذلك الوقت ، خاصة في منطقة ينوم أهلها من التاسعة مساء ولم يكن هذا العدد من الجوالات والمنبهات التي توقظ الناس الآن متوفراً ، فكان الناس يعتمدون على المسحراتي وكان شروم شخصية محبوبة لا تجده في السوق كثيرا إلا في المناسبات.

أمدرمان: كان رجلاً من الجنوب رغم إعاقته كان يغسل الملابس، ويحكى أنه فقد رجله عندما وقع من القطار وبترت رجله بعجلات القطار الحديدية كان يغسل الملابس كل أسبوع في المنزل ، وكنا نتحلق حوله ونسأله كلما أتى إلى المنزل ليحكي لنا كيف فقد رجله وكان يحكي القصة بروايات مختلفة ، كل مرة يضيف لها شيئا مثيراً حسب مزاجه في اللحظة ، في آخر أيامه ترك الغسيل في البيوت وعمل في كشك في صف الغسالين شمال بيت أحمد أبوشعير.

بابو : من الشخصيات الطريفة وهو من أسرة كبيرة لكنه كان زاهداً له لحية كثة قد يأتي أحيانا الى السوق وإلي تجار معينين في السوق ، كان يتكلم الإنجليزية

بطلاقة ، ويعرف تفاصيل الحياة اليومية وقد تجد عنده أخباراً غير تقليدية عما ما يدور في العالم.

نجيب: كان رجلاً صامتاً طويلا وضخماً لا يتكلم كثيراً ، يحب أن يجلس مع الناس لكنه لا يشاركهم الحديث ، ما يميزه أنه يترك أظافره تطول جداً ، رغم أن ملابسه متسخة إلا أنه لا رائحة لها، لكن كان مألوفا ومحبوبا من الجميع، عندما يأتي موعد الأكل يجلس مع الكل على صينية الطعام ويأكل دون تمييز مع الآخرين، وهذا حال كل ظرفاء المدينة كانوا يشاركون الناس حياتهم اليومية دون ان يشكو منهم أحد، وهذه إحدى فوائد ذلك مجتمع المجلد حيث يتعامل الناس كلهم دون تمييز او تكبر من أحد.

أقي : من الشخصيات التي تكون دائماً في السوق تحت شجرة اللبخ غرب المسجد الكبير وهو من الجنوب لا أذكر أنه يتجول ليشحد لكن معظم الناس ينظرون له بعين الرحمة والعطف ويقدمون له العون.

أمام دكان بريمة حمودة، كان يجلس رجل أعمى من الفلاته أظن أن اسمه فكي محمد ، كان يفتل الحبال، ويذكر الله بصوت عالٍ « لا إله إلا الله محمدرسول الله» ويردد أذكاراً مختلفة ، أثناء قيامه بفتل الحبل وهو في هذه الحالة طوال اليوم وعند نهاية اليوم يكون قد فتل حبلاً كاملاً من السعف ويبيعه، لتجليد ونساجة العناقريب ، هذا الرجل الأعمى جعلني أتامل ، فرغم أنه أعمى ، لكن كان حريصاً على أن يكون منتجاً ولم يركن لإعاقته وكان أثناء العمل يضع له الناس القروش في صحن بجانبه ، فرغم إعاقته كانت له مساهمة في الإنتاج والمجتمع الذي ينتمي إليه.

وكل الشخصيات التي ذكرت هي شخصيات هادئة وفيها شيء يميزها ولم تكن تؤذي أحداً بل على العكس كانوا يشعرونك أن إيقاع الشارع يسير بصورة طبيعية عندما نلتقي واحداً منهم، أذكر أنه كان هناك رجل من الجنوب يلازم المسجد

يرتدي جلباباً أخضر كما البرهانية أو الدراويش ، ويتجول في السوق أحياناً لكنه لا يتحدث إلا بكلمات محدودة ويجلس في حلقات العلم دون أن يشارك أو يسأل ، وأحيانا كثيرة يكون شارد الذهن، ذات يوم ذهبنا أنا وأحد أقربائي وتحدثنا إليه بصعوبة ، لأن الرد للسؤال غالباً يكون ليس له علاقة بالموضوع أو هكذا يبدوا لنا، فسأله قريبي هذا عن نتيجة إمتحان الشهادة وهو كان قدم للتو للدخول للجامعة، وكان يدرس المساق الأدبي، فسأله (شيخنا شوف لي الخيره أنا بوزعوني شنو)؟ فنظر الرجل وقدر ثم صمت طويلا وقال له (إنت بتقرا طب) وكانت المفاجأة أن الإجابة غريبة حيث كان قريبي هذا في المساق الأدبي ، كيف له أن يقرأ الطب ، فتبادلنا النظرات ما معناه أن الشيخ شطح قليلاً هذا اليوم وذهبنا، ومرت السنون وإذا بصاحبي بعد ثلاث سنين من مقابلتنا للشيخ لسبب ما يغير مساقه إلى علمي ويمتحن الشهادة مرة أخرى ويدخل الطب وهو الآن يعمل في إحدى مستشفيات السعودية ، فتذكرت كلام شيخنا، فأظنها كانت من كرامات الدراويش ، أذكر كذلك حمرة بت الغول كانت تأتي السوق ويعطيها التجار ما فيه النصيب وهي هادئة، وحواء أم تمتامة كانت تدخل في نوبات غضب وبعضهم فسر هذا بأنه أثر الريح الأحمر « أو الظار».

أيضا كانت هناك امرأة جنوبية، تسير في الشوارع وتجول غالبا حول الكوش وأماكن القمامة وأحياناً تحت اللبخة الكبيرة غرب الجامع الكبير، وهي متسخة وممزقة الثياب وعند اقتراب أي شخص منها تقذفه بالحجارة وحتى شعرها يكون متسخاً وملبكاً فيظهر مثل شعر الهيبيز ، وهي في هذه الحالة ظهرت مرة وبطنها منتفخة بسبب الحمل وليست عليها ما يسترها وما يكفي من الثياب وبعد فترة وضعت طفلها ، فأصبحت أكثر حركة وإزعاجاً من ذي قبل وتحمل وليدها وتجري به هنا وهناك دون أي مراعاة لهذا الوليد حديث الولادة. ولا أحد يعلم أين وضعته وكيف وضعته وهي تحمله ، ولا أعلم كم مرة ترضعه فثدياها كانا مكشوفين ومكتنزين باللبن ويظهر عليها أنها لا ترضعه أو لا تعرف أن ترضعه أو تعتنى بوليدها ، وأصبحت أكثر إزعاجاً وحركة ، وهي في هذه الحالة ، وذات يوم

أنا راجع من المدرسة الابتدائية فإذا بي أرى المرأة المجنونة مقيدة بالسلاسل أمام مركز المجلد وهناك جمهرة كبيرة من الناس، فعرفت أن هذه المجنونة قتلت وليدها حيث أخذته من رجله ولوحت به في الهواء وقذفته وضربت به الحائط ففارق الحياة في لحظته . هذا الموقف أذكره حتى الآن وأسال نفسي من الذي أتى هذه المجنونة لينجب منها هذا الطفل، ولماذا لم تأخذ السلطات الطفل قبل أن تفعل به ما فعلت وأذكر أنهم احتجزوها يوماً وتركوها في اليوم التالي تجري في الأسواق.

عميان ضر : شخصية كانت لها قرارات خاصة ، كان أعمى لكن رغم إعاقته كان يعمل في البيوت ويقوم بالأعمال المنزلية – غسيل الملابس ويرسلونه إلى السوق والمحال التجارية ويصب الماء على الزير أو البرميل ، سمي عميان ضر ، لأنه عندما يعمل كثيراً ولا يعطونه أكلاً كافياً في المقابل يصب الماء خارج الزير أو الإناء ، فكانوا يعرفون أنهم لم يعطوه الوجبة أو المال الذي يريد فيحدثون علاقة لطيفة معه ، وأهم ما فيها أن الكل يعامله باعتباره سوياً ولا أحد يعامله على أنه معاق مما الحماس ليقدم ويعمل .

أبكر قروش : هو شخصية سمعنا بها في المجلد وحكت عنها والدتي ومن في عمرها بأنه كان في المجلد ، عرف بأنه يخرج القروش من كل شيء ، فكان الأطفال يقابلونه في السوق وعند عودتهم من المدرسة ويطلبون منه القروش ، فكان يمسك بفرع الشجر وينزع أوراق الشجر وهي تتساقط على الأرض وتتحول إلى قروش (فكة) حديد يلتقطها الأطفال ويشترون بها الحلاوة...

حكي أن نظام مايو حبسه مراراً ليعرف مصدر القروش لكن كانوا يجدونه خارج السجن في الصباح .. فبعضهم يعتبر أنه كان يستعين بالجن .. كان رجلاً مرحاً لا يخرج كميات كبيرة من المال ، فقط بالقدر الذي يفرح الأطفال .

الحركة الفكرية والسياسية

الحركة الفكرية والسياسية

الحركة الفكرية كانت نشطة حيث كان نادي المجلد جوار البوستة هو محور الحركة الفكرية والخطب ، أحياناً تقام بعض الندوات خارج النادي ، وهذه الفترة كانت معظمها في فترة مايو حيث كان النشاط السياسي شبه متوقف لكن كنا نلاحظ هذا في اهتمام الناس بمتابعة الأخبار والراديو ، وكانت تأتي سراً مجلة الدستور من العراق إلى قيادة الأحزاب وكانت معادية لنميري ومن وجدت عنده ربما تؤدي به للمعتقل.

كان هناك نشاط روحي يغلب عليه الطابع السياسي بين الشباب يقوده جلال الدين موسى جلال الذي أتى للمجلد وكان نشطاً في علاقته مع الشباب، وكنا نذهب إليه في بيته لنتعلم أصول التلاوة والتجويد وكان يوزع المصاحف للشباب وهم كما ذكرت سابقاً المجموعة التي تصدر جريدة المسجد، أولاد موسى البيطري سليم سلامة ، وأبناء عبد الرحمن قرقح صالح وكذلك أولاد عبد الرحمن عبد القادر والطيب عبد الرحمن وكباشي بشير التجاني، وأنا كنت أصغرهم سناً في ذلك الوقت وكانت هذه نواة لتكوين الاتجاه الإسلامي والحركة الإسلامية في المجلد وكان هذا النشاط نشطاً جداً لوجود المركز الإسلامي في بابنوسة وكان الأخ د.عبيد الله محمد عبيد الله والذي شغل منصب وزير الدولة بوزارة الخارجية في حين إصدار الكتاب وحامد زايد مدرب التمنية البشيرية المعروف وريا عبداللطيف في بابنوسة من المحركين لهذا النشاط ويمدون هذه المجموعة بالمصاحف والكتب.

استمر هذا الحال حتى أتت الانتفاضة والفترة الانتقالية بقيادة المشير سوار الذهب ونشطت الحركة السياسية ، الاتحاد الديمقراطي بقيادة بشير التجاني في

المجلد وحزب الأمة بقيادة بيت النظار في المجلد وأسرة علي الجلة ، لكن تفاجئوا أن خلال الفترة التي حكم فيها نميري صعد حزب جديد يسمى الجبهة الإسلامية بقيادة الشيخ حسن الترابي والإسلاميين وكان له سحر خاص بين الشباب. لم تكن لهم قراءة حقيقية حيث كانوا يعتبرون أن المنطقة مقفولة لحزب الأمة. فعند الانتخابات نزل صدرين ومعه عبد الرسول النور ومرشح آخر في دائرة واحدة عن حزب الأمة ونزل الأستاذ أحمد صالح صلوحة ممثلاً الجبهة الإسلامية وفازت الجبهة الإسلامية في معقل الأنصار وفي دائرة تقليدية لهم فقلبت الموازين السياسية. وكانت الدعاية الانتخابية قويه أذكر أن حزب الأمة أرسل بوسترات وصوراً للأستاذ عبد الرسول النور والمرشحين ووزعت على الشوارع. وكان الأستاذ علي شمو وهو تاجر بالمجلد نشطاً في الحزب الديمقراطي بقيادة بشير التجاني، والنساء كانت تقودهن زوجة علي شمو (سيدة) عن الاتحاد الديمقراطي وهي كانت نشطة بين النساء. وشهدت تلك الفترة تداولا سلمياً للدعاية الانتخابية وكانت هناك ندوات وحوار كبير وانتهت الانتخابات دون أي نوع من العنف أو التخريب وقبل المرشحون الفائز والمهزوم النتيجة برضاء تام مما يعكس السلوك الحضاري الذي كانت تتسم به تلك المنطقة.

هناك شخصيات اقترنت بالسياسة وتمثل برلماناً متنقلاً داخل المجلد، فقد تجد عدداً منهم في المجلس، أو في دكان أحد التجار الذين لهم علاقة بالسياسة أو ربما تحت شجرة لبخ وريفة في السوق ، الشيخ الشبكة بجلبابه الأنصاري ذي الكف العريض وتسمى جناح أم جكو ، وعمامته العظيمة وطاقية أنصارية معروفة ، والنذير جبريل وشمو حرقاص ومجيل وهذه الحركة بقيادة أحد قيادات أسرة النظار، علي نمر أو مختار بابو. فكان السوق يمثل الحركة السياسية والتجارية في نفس الوقت .

والشيخ بابو نمر بوجوده الطاغي ، توفي ونحن في الصف الثالث الابتدائي ، وأذكر عند وفاته جَثَم حزن عميق على كل المنطقة ، وحصل حِداد غير معلن

بتعطل كل النشاطات والمدارس وإغلقت المحال التجارية، وأحضر جثمانه بطائرة خاصة كبيرة «هيركلوس» وهي من النوع الضخم بشركة شيفرون وحضر عدد كبير من القيادات السياسية وقيادات الإدارة الأهلية لكل السودان، فكان هذا التجمع والتشييع الكبير رغم أن الرئيس نميري عمل على إلغاء نظام الإدارة الأهلية وتحفظ عليه لكن الرئيس نميري كان يعطي الناظر بابو مكانة خاصة وهو رجل عُرِف بالحكمة التي يرددها الناس في الأسواق، ويقال أن نميري وجه بأن يجري لقاء مع الناظر بابو ليستفيد الناس من حكمته ظناً منه أنه سيرسل رسائل إيجابية لقيادات الإدارة الأهلية ليثبتهم ويطمأنهم بعد قرارات نميري فسأل المذيع الناظر بابو، سؤالاً صريحاً ما رأيك في قيادة الرئيس نميري؟ فقال له «النميري ده زي ديك العدة» فلم يفهم المذيع ما يرمي إليه الناظر بابو وارتبك لأن اللقاء كان على الهواء فسأله المذيع ماذا تقصد؟ فقال له: (يخلوه ينزل بشِيش، كان نهروه بكسر العدة). فكان الناظر بابو رجلاً آتاه الله من الحكمة التي عملت على إدارة المنطقة خاصة مع الجنوبيين، حيث كانت له علاقة خاصة مع دينق مجوك وأولاده، دينكا نقوك. فكان قادراً على إدارة هذا الملف الحساس بصورة أشعرت أهل أبيي بأنهم أقرب للعرب والمسلمين منهملقبائل الجنوب الأخرى. وأيضاً كان قادراً على حفظ التوازن بين أهل البلد المسيرية وطبيعتهم الرعوية المتنقلة ومجموعة ما يسمى بالجلابة القادمين من شمال السودان والجزيرة، فجعل كل التجار القادمين من الشمال أن يدخلوا في حلف مع من يشاؤون من قبائل المسيرية ، يدفعون معهم الدية ويدخلون معهم في الجودية ويساهمون معهم في مناسباتهم وبالمقابل تحتضنهم هذه القبائل وتحميهم، لذا كانت علاقة تكاملية يميزها الاحترام والتقدير ولم يشعر أهل المنطقة بأن هؤلاء التجار والموظفين من الشمال، هم خصم عليهم أو على مواردهم بل اعتبروهم إضافة، لذا قدموهم معهم في أعمالهم وكذلك مواقفهم السياسية لذا ترشح بشير التجاني في دائرة وفاز وكان خطيبهم في المناسبات، وعبد الملك الدعاك كان إمامهم بالمسجد وخطيب الجمعة، ويوسف الدقير كان يشارك في اجتماعات الحل والنزاع بين القبائل ،

وكل هذا النشاط برعاية ومراقبة الناظر بابو والناظر علي نمر واعتبروه إضافة مجتمعية ، معظم الجلابة كانوا حلفاءه للكلابنة، «العجايرة» لكن ما أسمعه اليوم وما يدور في المنطقة من تفلتات من بعض الشباب، من اعتداء أحيانا على بعض التجار بصورة تحزن ونأسف لها، ماذا أصاب هذه المنطقة الآمنة الوديعة الجميلة؟. ما يطمئن أن هذه المنطقة نشأت على أصالة وحكمة الناظر بابو ومن أتى من بعده ، وكذلك نشأت ببركة الشيوخ الذين تعاقبوا عليها ، فيها ذخيرة كبيرة للتسامح وإرث من التكاتف بين أهلها، يحتاج لمن يحركه بالصورة الصحيحة ليعيد الأمور إلى سيرتها الأولى. كما ذكرت في المجلد هناك شخصيات وبيوت كثيرة مفتوحة تخرج آلاف الدارسين من طلاب الرحل أذكر منها شخصيات أيضا كان لها إسهامها .. منها على سبيل المثال لا الحصر بيوت العمدة أبو القاسم موسى والنائب البرلماني حماد صالح أحمد ومصطفى ختم ومحمد موسى الكليس وضحوي محمد ضحوي وإخوانه وعبدالصادق علي بريقع وغيرهم كثيرون ولم تخلُ المجلد من الشعراء أو ما يسمى بالهداي أمثال علي ود دليل والعتول (الغلب التيتل) والدريب خبير قرجى وغيرهم كثير .. وأيضا لا أنسى شخصيات عرفت بالكرم العربي الأصيل وكرماء الكرماء ..قور أبومحمد وأسرته الكبيرة الممتدة التي عرفت بالثقافة أيضا وكذلك مسلم إسماعيل (الدلدوم) وصاغة ول حماد (ضباح الفقر) . وهناك الفرسان وغيرهم .. وكثير من المجالات الأخرى .. هذا كله للمثال وليس للحصر ..

خاتمة

أختم هذا الكتاب بعد أن اعتصرت ذاكرتي لأصف وأعدد كثيراً من الأحداث التي حضرتها وما سمعته من أناس عاصروا كثيراً من الأحداث، حاولت ما استطعت أن أحيط بكثير من الشخصيات التي كان لها أثر وأحسبها أثرت في مسيرة الطفولة وهي كثيرة وما ذكرته هو ما أسعفتني به ذاكرتي ، وسأحاول أن شاء الله في طبعة أخرى أن أوسع الكتابة لتشمل أكبر عدد من الشخصيات المؤثرة في ذلك المجتمع المتفرد. ما جمع الآن يعتبر شتات الذكريات التي فرضت نفسها لتبقي في قاع مخيلتي ، وما أن أمسك بالقلم حتى تتدافع الأحداث والشخوص والحكايات اندفاعاً فحاولت أن أذكرها دون تفصيل ممل .معظم هذه الشخصيات ذكرت في أحداث ومواقف أعتز بذكرها رغم أني لم أستطع أن أستأذنهم جميعاً ليكونوا ضمن هذه الكوكبة المتميزة من الأهل والأصدقاء الذين شكلوا ملامح تلك الفترة.

أرجو أن يعذرني البعض إن لم أحط بكل الشخوص والأسماء في تلك الفترة وإذا قصرت في ذكر الأحداث بتفاصيلها والعذر إذا ذكر موقف في نظري أحسبه مشرفاً ومفخرة لي أعتز بذكرها ورأى غيري دون ذلك ، فكل ما ذكر هنا ذكرته لحبي وتقديري لهؤلاء الرجال الذين عاصرناهم ونفخر أن كانوا جزءاً ساهم في تكوين وجداننا الفكري والثقافي والعاطفي تجاه الوطن الكبير السودان.

وجزاكم الله خيراً،،،

د. صلاح الدين عبدالملك دعاك

فهرس

إهداء ٣
شكر وعرفان ٥
مقدمة ٧
قالوا عن المجلد ٩
من التميراب إلى المجلد ٣١
التعليم والمدارس الابتدائية ٤١
معالم ومشاهد من المجلد ٤٧
مسجد المجلد الكبير ونشاطاته المتعددة ٥٧
شركة شيفرون الأمريكية في المجلد ٦٣
مدرسة المجلد الثانوية - عرديبه - ٦٩
معالم سياحية والصيد ٧٣
فصل الخريف في المجلد - سيمفونية الخريف ٧٩
الحركة التجارية وسوق المجلد ٨٧
الأعياد والحركة الاجتماعية ٩٥
الحفلات والمناسبات الاجتماعية والدينية ١٠١
النشاط الرياضي ١٠٧
العاب الطفولة وقضاء الإجازات ١١١

العلاج والصحة العامة ١٢١
المواصلات والاتصالات في المجلد ١٢٧
النشاط الثقافي في المجلد ١٣٩
رجال ونساء شكلوا ملامح المنطقة ١٤٥
ظرفاء مدينة المجلد ١٥١
الحركة الفكرية والسياسية ١٥٧
خاتمة ١٦٣
الفهرس ١٦٥

الحمد لله